

تطور نظرة الغرب إلى الإسلام والمسلمين في ظل الدراسات الدينية المقارنة

The development of the West's view of Islam and Muslims in light of comparative religious studies

جناحي حنان^{1*}، أ.د. عمار جيدل²

¹ جامعة الجزائر 1، كلية العلوم الإسلامية، مخبر مناهج البحث والتقويم في العلوم الإسلامية

ومقاصدها ومسالك تقويمها (الجزائر)

h.djenahi@univ-alger.dz

² جامعة الجزائر 1، كلية العلوم الإسلامية (الجزائر)

a.djidelh.djenahi@univ-alger.dz

تاريخ الارسال: 2025/07/12 تاريخ القبول: 2025/09/14 تاريخ النشر: 2025/12/31

ملخص:

جاء هذا البحث لبيان نظرة الغرب إلى الإسلام والمسلمين وتطورها في ظل الدراسات الدينية المقارنة، وتكمن أهمية هذه الدراسة في عدم عناية الباحثين بموضوعها على الرغم من أهميته ومن تأثير هذه النظرة على واقع المسلمين، وقد اتبعنا في دراستها على السرد التاريخي ووصف بعض الدراسات الغربية في المجال وتحليلها، فكيف كانت نظرة الغرب للإسلام والمسلمين؟ وما درجة تأثير علم مقارنة الأديان فيها؟ وأهم نتيجة توصلنا إليها أن النظرة الغربية للإسلام والمسلمين قد تطورت من خلال الدراسات الدينية المقارنة من سلبية إلى ساعية إلى الاعتدال والإيجابية.

الكلمات المفتاحية: تطور نظرة الغرب إلى الإسلام والمسلمين، العلاقات بين المسلمين والغربيين، الحوار بين الأديان، مقارنة الأديان، الدراسات الإسلامية.

Abstract:

This research came to explain the West's view of Islam and Muslims and its development in light of comparative religious studies. The importance of this study lies in the researchers' lack of interest in its subject despite its importance and the impact of this view on the reality of Muslims. In studying it, we followed the historical narrative and

described and analyzed some Western studies in the field. What was the West's view of Islam and Muslims? What is the degree of influence of comparative religion on it ? The most important conclusion we reached is that the Western view of Islam and Muslims has developed through comparative religious studies from negative to seeking moderation and positivity.

Keywords : The development of the West's view of Islam and Muslims, relations between Muslims and Westerners, interfaith dialogue, comparative religions, Islamic studies.

المقدمة:

عمل النبي (ﷺ) على بناء علاقات سلمية مع اليهود والنصارى منذ بدايات دعوته ولم يتلق منهم التجاوب المنتظر فقابلوا محاولاته بالرفض والتمرد، فكانت المواجهة معهم اضطرارية في عدة مواضع، استعملوها لاحقاً ذريعة لادعاء أن الإسلام دين عنف وغيرها من الادعاءات الباطلة، وحاولوا منع انتشاره بكل السبل الممكنة، فكان لا مفر من المواجهة بالسيف خلال القرون الأولى من الدولة الإسلامية، ثم مواجهات كلامية ظهر على إثرها علم الملل أو علم الردود عند المسلمين، وبلغ التدافع ذروته خلال الحروب الصليبية، وخلال كل هذه الفترة من الزمن لم يكن الغربيون يعرفون الإسلام معرفة دقيقة وعن قرب فكانت معلوماتهم عنه مأخوذة عن آراء وأقوال الكهنة والقساوسة والرهبان المعادين للإسلام، لكن مع مرور الزمن وازدياد الاحتكاك بين الطرفين، ونشأة علم مقارنة الأديان نتساءل: كيف كانت صورة الإسلام والمسلمين في الفكر الغربي قبل نشأة علم مقارنة الأديان؟ وهل استمر الصراع الديني أم لا؟ وهل تغيرت النظرة الغربية للإسلام والمسلمين بعد نشأة علم مقارنة الأديان؟ وما درجة تأثير هذا العلم في الرأي العام الغربي من جهة موقفه من الإسلام والمسلمين؟

هدفنا في هذه الورقة البحثية هو تتبع تطور النظرة الغربية للإسلام والمسلمين منذ ظهوره إلى يومنا هذا، ورصد دور علم مقارنة الأديان في هذا التطور، وننتقل في بحثنا من الوقائع التاريخية والحقائق التي أوردها الباحثون في مجالات عدة منها: التاريخ العام، وتاريخ الإسلام، وتاريخ الأديان، وعلم دراسات الشرق الأوسط، والاستشراق، وتاريخ العلاقات

المسيحية الإسلامية، وغيرها، يظهر لنا أن دراستنا لم يعتن بموضوعها على الرغم من أهميته إذ يستحق عناية معمقة لأنه يمكننا من فهم العلاقات بين العالمين الإسلامي والغربي في الماضي ويؤطرها في الحاضر، فيتعامل المسلمون مع الآخر بناء على صورته في أذهانهم، الباحث الوحيد الذي أشار إلى مسألة تأثير علم مقارنة الأديان في موقف الغرب من الإسلام والمسلمين هو عبد الله شرقاوي في كتابه الاستشراق وتشكيل نظرة الغرب للإسلام، حيث خصص جزئية في كتابه بعنوان الإسلام في كتابات علماء مقارنة الأديان الغربي، والذي تناول الموضوع بشكل سطحي ولم يبين درجة هذا التأثير بشكل معمق، الأمر الذي اعتنينا به في هذه الدراسة.

وقد اعتمدنا في عرضنا على السرد التاريخي للأحداث، فقمنا بتتبع صورة الإسلام والمسلمين في الفكر الغربي منذ نشأته، وتراكماتها وتداعياتها على الحاضر، والمنهج الوصفي التحليلي؛ حيث قمنا بالاطلاع على عدد كبير من الكتابات الغربية في مجال مقارنة الأديان، وانتخبنا منها عددا معيناً لخصنا مضمونه فيما يتعلق بالكشف عن صورة الإسلام في الفكر الغربي خلال الفترات المدروسة، وحاولنا الكشف عن تأثير هذا العلم ومناهجه في تغيير هذه الصورة أو النظرة الغربية إلى الإسلام والمسلمين.

2. ضبط المصطلحات

2.1. معنى تطور:

لغة: لا يوجد شرح لكلمة تطور في معاجم اللغة العربية القديمة، لكنها تشتمل على معنى لكلمة طور وهو جذر الكلمة دون التاء، ومن هذه المعاني: "الطور: التارة، (يقال) طورا بعد طور، أي: تارة بعد تارة. والناس أطوار، أي: أصناف، على حالات شتى"⁽¹⁾؛ و"التطور: التنقل من هيئة وحال إلى غيرهما ومنه تطور الملك والولي"⁽²⁾؛ وبالتالي فمعنى التطور في اللغة يدور حول العمل على الانتقال من حال إلى حال مختلفة عنها أو مشابهة لها.

واصطلاحاً: جاء في المعجم الفلسفي: "تطور - Evolution: الفعل من الإسم الإفرنجي to evolve، والتطور يعني الكشف عما هو كامن، أي إظهاره"⁽³⁾؛ وورد في معجم لالاند بعدد من المعاني أهمها: "تطور - نشوء، Evolution: تحول تدريجي، ومنظور إليه عموماً كتحول بطيء جداً، أو هو تحول يجعل جمعا ينتقل من حال الائتلاف إلى الاختلاف، أو من الأقل اختلافاً إلى الأكثر اختلافاً"⁽⁴⁾.

2.2 نظرة الغرب: بمعنى صورة الإسلام والمسلمين بالدراسات الغربية، هل هي إيجابية أم سلبية، أم هناك انقسام بينهم، أو بمعنى آخر وضع أو نعت الإسلام والمسلمين في الفكر الغربي.

3.2 الدراسات الدينية المقارنة: و هو المعروف بعلم مقارنة الأديان، وظهر هذا العلم عند الغربيين خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وهو علم يدرس الأديان بالاعتماد على المنهج المقارن لاستخلاص أوجه الشبه والاختلاف فيما بينها وبيان العلاقات التي تربطها ببعضها البعض،

⁽¹⁾ الخليل الفراهيدي: كتاب العين، باب: الطاء والراء، 446/7؛ أبو بكر الأزدی: جمهرة اللغة، مادة: طور، 2/ص761.

⁽²⁾ عبد الرؤوف المناوي: التوقيف على مهمات التعاريف، فصل الطاء، ص99: رنهارت بيتر آن دُوزي: تكملة المعاجم العربية، مادة: طور، 88/7.

⁽³⁾ مراد وهبة: المعجم الفلسفي، باب التاء، ص195.

⁽⁴⁾ أندريه لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية، مج (A-G)، مادة: Evolutio، ص(378-379).

ويعرفه لويس هنري جوردان ⁽¹⁾: " مقارنة الأديان هو ذلك العلم الذي يقارن بين أصول وبنية وخصائص الأديان المختلفة في العالم، " ⁽²⁾، ويعرفه كارل أولسون ⁽³⁾ بأنه: " أحد فروع الدراسات الدينية التي تهتم بمقارنة تقليد ديني بآخر فيما يتعلق بنظم المعتقدات والأساطير والطقوس والممارسات والأنشطة الفنية والجوانب الاجتماعية واللاهوت " ⁽⁴⁾.

ويعرفه محمد ميرا بأنه: " النشاط العقلي المنظم المهتم بدراسة الأديان نشأة وتاريخا وتطورا، وعقائد ومذاهب وطوائف " ⁽⁵⁾، وبالتالي فإن من وظائف علم مقارنة الأديان دراسة العلاقات بين الأديان، والطرق التي تتعامل بها كل ديانة مع غيرها من الأديان، وعملنا في هذه الورقة البحثية هو تتبع تطور النظرة الغربية للإسلام والمسلمين في ظل الدراسات الدينية المقارنة؛ أي الدراسات العلمية للأديان بصفة عامة والإسلام بصفة خاصة، وصياغة منطلقات وأهداف هذه الدراسات والمناهج المتبعة أيضا في ذلك.

قبل أن نشرع في دراسة موضوع بحثنا يتعين أن نضع في حسابنا أمرين اثنين هما:

أولاً: التوجه لمعرفة الآخر لم يكن فجائياً؛ بل كان له تاريخ سبق ظهور علم الأديان المقارنة الذي ظهر لأول مرة حسب الباحثين في المجال مع نشر ماكس مولر ⁽⁶⁾ لكتابه " Introduction to the science of religion " سنة 1873م،

⁽¹⁾ جوردان لويس هنري (1855-): عالم لاهوت بريطاني ومرجع في الأديان المقارنة، ولد في Halifax ودرس في جامعة Oxford ، كان قسيساً للكنائس في هاليفاكس ومونتريال وتورنتو، ألقى محاضرات في علم اللاهوت وعلم مقارنة الأديان في عدة جامعات، من كتبه: Comparative religion : Its genesis and growth(1905), comparative religion : its method and scope(1902). Frank Moore Colby- Talcott Williams : The new international encyclopedia , vol 12, p777.

⁽²⁾ Louis Henry Jordan : Comparative religion its genesis and growth, p63.

⁽³⁾ كارل أولسون: قام بتدريس الدراسات الدينية في كلية Allegheny لمدة 36 عاماً، حيث قدم دورات في البوذية بوذية الزن والهندوسية وأديان الصين، والظواهر المقارنة، نشر أكثر من 20 كتاباً في مواضيع مختلفة منها:

Religious studies : the key concept. Historical dictionary of Buddhism, p379.

⁽⁴⁾ Carl Olson : religious studies (the key concepts, p53.

⁽⁵⁾ دين محمد ميرا: في الدين المقارن مقالات في المنهج)، ص 159.

⁽⁶⁾ ماكس مولر فريدريش: المستشرق وعالم اللغة، ولد في 06 ديسمبر 1823 في ألمانيا، وتوفي يوم 28 أكتوبر 1900 بإنجلترا،

ومجال اهتماماته الخاصة هو فقه اللغة السنسكريتية وأديان الهند، من مؤلفاته:

Lectures on the Origin and Growth of Religion (1878) . موسوعة برطانيكا:

<https://www.britannica.com/biography/Max-Muller>

والتي يسميها إريك شارب⁽¹⁾ بالوثيقة التأسيسية لهذا المجال من الأبحاث، بالرغم من أنه يسرد تاريخاً طويلاً من الدراسات المتعلقة بالدين، ويصفها بأنها غير منظمة؛ لكن بعد ماكس مولر أصبح هذا المجال خاضعاً لمنهج علمي مقارن وعولج بطريقة علمية⁽²⁾.

ثانياً: دراسة الآخر للإسلام أيضاً ليست بالأمر الجديد، فلها تاريخها أيضاً، فقد تأسس في الكليات والأقسام الغربية المتخصصة في الأديان فروع علمية تسمى بالدراسات الإسلامية يتم فيها تدريس الإسلام بمختلف علومه ضمن الدراسات الشرقية، وقد مر هذا التأسيس بثلاث مراحل، وكانت نقطة البداية فيها حسب كلينتون بينيت⁽³⁾ من تاريخ ظهور أول ترجمة للقرآن الكريم سنة 1143م إلى غاية بداية عصر النهضة وهي المرحلة الأولى وسماها مرحلة الدفاع المسيحي، والمرحلة الثانية تبدأ من مطلع القرن الثامن عشر إلى غاية منتصف القرن العشرين وهي مرحلة الدراسات الإسلامية والاستشراق، والمرحلة الثالثة من منتصف القرن العشرين إلى يومنا هذا وتعرف بالاتجاه الجديد في الدراسات الإسلامية⁽⁴⁾، لكننا لن نعتمد على هذا التقسيم لأنه يركز على فرع علمي من علم الأديان وهو فرع الدراسات الإسلامية، بل سنعتمد في عرضنا على مرحلتين هما قبل ظهور علم مقارنة الأديان عند الغربيين وبعد ظهوره للكشف عن تأثيره في تغيير النظرة التقليدية نحو الإسلام والمسلمين أم لا.

ويمكن أن نلخص حصيلة ما سبق في النقاط التالية:

1. النظرة الغربية للإسلام والمسلمين هي صورة الإسلام في الفكر الغربي، أو موقف الغرب المسيحي/اليهودي من الإسلام وطرق تعامله مع المسلمين في كل مناحي الحياة، على مر التاريخ.

⁽¹⁾ إريك جون شارب: ولد يوم 19 سبتمبر 1933 وتوفي يوم 19 أكتوبر 2000، كان أستاذاً مؤسساً للدراسات الدينية في جامعة سيدني بأستراليا، وكان باحثاً بارزاً في الظواهر الدينية والحوار بين الأديان، من مؤلفاته:

Comparative Religion: A history، Understanding Religion. <https://whowaswho-indology.info/21271/sharpe-eric-john>

⁽²⁾ Adapted from: Timothy filzgerald : The idiology of the religious studies, p35.

⁽³⁾ كلينتون بينيت: باحث بريطاني أمريكي في الأديان، ومتخصص في دراسة الإسلام، وحوار الأديان. ولد يوم 7 أكتوبر 1955. <https://newpaltz.academia.edu/ClintonBennett/CurriculumVitae>

⁽⁴⁾ Adapted from: Clinton bennett: The bloomsbury companion to Islamic studies, p 5-6.

2. الدراسات الدينية المقارنة هي النشاط العقلي المنظم المهتم بدراسة الأديان والعلاقات بينها.

3. من وظائف علم مقارنة الأديان تسليط الضوء على العلاقات التي تربط الأديان ببعضها البعض.

4. محاولة معرفة الآخر مسألة لها تاريخ يسبق ظهور علم مقارنة الأديان لكنها لم تكن ترقى لدرجة العلم لعدم انضباطها على منهج معين.

5. دراسة الإسلام من طرف الآخر أيضا لها تاريخ؛ وقد مرت بثلاث مراحل حسب الباحثين في مجال الدراسات الإسلامية فبدأت من ظهور أول ترجمة للقرآن الكريم سنة 1143م إلى يومنا هذا.

3. تطور النظرة الغربية نحو الإسلام والمسلمين قبل نشأة علم مقارنة الأديان:

سنعرض في هذه المرحلة عن موقف الأديان الأخرى من الإسلام عند ظهوره، وعن ظهور علم الملل عند المسلمين، والحروب الصليبية والاستشراق ونشأة الدراسات الإسلامية.

1.3 النظرة الغربية نحو الإسلام في بداياته: لم تكن الأديان السماوية تعترف ببعضها البعض، وتستبعد مواقفها من الأديان الأخرى مجرد إمكانية الدراسة الموضوعية ناهيك عن مقارنتها، فالديانة اليهودية لا تعترف بالمسيحية، والديانة المسيحية أيضا لا تعترف باليهودية ولا بالأديان الأخرى، وبمجيء الإسلام تم رفضه أيضا من اليهود رفضا تاما وحاولوا قتل النبي (ﷺ) وسحروه وحرضوا عليه المشركين وحاربوه حتى أخرجهم من المدينة، ويذكر إيريك شارب واصفا نظرة المسيحيين لأصحاب الديانات الأخرى فيقول: " فقد كان المسيحيون ينظرون إلى اليهودية بمزيج من الشفقة والإشمئزاز، وينظرون إلى الإسلام بمزيج من الخوف والكراهية ولم يكن أحد منهما يعرف الآخر على وجه الدقة"⁽¹⁾، ولا أظن أن تعميم إيريك صحيحا، لأن الحقيقة والواقع يثبتان أن انعدام المعرفة وسوء الفهم لديانة المخالف كانت من جانب المسيحيين وليست من جانب المسلمين؛ لأن المسلم حتى ولو لم يكن عالما فإنه يعرف الفرق بين عقيدته والعقيدة المسيحية: لأن القرآن الكريم وضع عقيدة النصارى،

⁽¹⁾ Eric sharp : comparative religion a history, p12.

وحكى قصة السيدة مريم عليها السلام والسيد المسيح (عليه السلام) وبين الخطأ في العقائد الأساسية للنصارى، وبالتالي فالمسلمون يقبلون المسيحية التي عرفها لهم القرآن الكريم؛ ويرفضون ما فسرهما به المسيحيون، أما اليهود فإنهم يعرفون صحة الإسلام لكنهم يرفضون قبوله تكبرا منهم وعجرفة.

وبدأ النقاش العقائدي بين المسيحية والإسلام الذي كان يتوسع بسرعة، والحوار الذي دار بين المسلمين وملك الحبشة النجاشي نموذج بسيط لهذا النقاش، ويدل على أن الإسلام يعتبرها ديانة سماوية جاء بها النبي عيسى (عليه السلام) وأنها الرسالة ذاتها التي جاء بها النبي محمد (ﷺ)؛ لكن الرهبان حادوا بها عن الصواب؛ ووضح الأخطاء الموجودة فيها وبين الانحرافات التي طالت العقيدة المسيحية وحادث بها عن الحقيقة، أما عن نظرة المسيحيين تجاه الإسلام فقد كان الرفض التام لهذا الدين⁽¹⁾؛ ولعل موقف بطاركة هرقل لما استشارهم في أمر رسالة النبي (ﷺ) دليل على ذلك: "فلما أن جاء كتاب رسول الله - ﷺ - دعا قيسي الروم وبطارقتهم، ثم أغلق عليه وعليهم باباً فقال: "قد نزل هذا الرجل حيث رأيتم، وقد أرسل إلى يدعوني إلى ثلاث خصال، يدعوني إلى أن أتبعه على دينه، أو على أن أعطيه ما لنا على أرضنا والأرض أرضنا، أو نلقي إليه الحرب، والله لقد عرفتم فيما تقرءون من الكتب ليأخذن ما تحت قدمي فهلن نتبعه على دينه، أو نعطيه مالنا على أرضنا، فنخروا نخرة⁽²⁾ رجل واحد حتى خرجوا من برانسهم، وقالوا: تدعونا إلى أن ندع النصرانية أو نكون عبيداً لأعرابي جاء من الحجاز؟ فلما ظن أنهم إن خرجوا من عنده أفسدوا عليه الروم رفأهم⁽³⁾ ولم يكده، وقال: قلت ذلك لكم لأعلم صلابتكم على أمركم"⁽⁴⁾.

2.3. نشأة علم الملل عند المسلمين:

⁽¹⁾ يتحدث ألبرت حوراني عن موقف الإسلام والمسيحية من بعضهما البعض فيقول: "ولا شك أن مجداً في المرحلة الأولى لم يكن يعتبر نفسه مؤسساً لدين جديد بل كان يحيي ديناً ويكمّله، ولقد فوجئ هو ورفاقه بأن موقفهم من اليهود والمسيحيين لم يكن متبادلاً، فلم يقبل المسيحيون مجداً كنبي، ناهيك عن كونه خاتم الأنبياء، ولم يعتبروا القرآن كلام الله".

Albert Hourani : Europe and the middle east, p5

⁽²⁾ نخروا: أي تكلموا كلام رجل واحد، وكأنه كلام مع غضب ونفور حملهم على أن يخرجوا من برانسهم، ابن منظور لسان العرب، 199/5.

⁽³⁾ رفأهم: سكتهم ودعا لهم. رفأ الرجل يرفؤه رفأً: سكتّه. ابن منظور: لسان العرب، مرجع سابق، 199/1.

⁽⁴⁾ إبراهيم بن محمد بن حسين العلي الشبلي الجنيني: صحيح السيرة النبوية، ص478.

ظل الموقف المسيحي على حاله بالرغم من انتشار الإسلام واعتناق أعداد كبيرة من المسيحيين له، وبقاء من اختار دينه على دينه وعاش في ظل الدولة الإسلامية محفوظ الكرامة حراً في دينه، بل وزادت حدة هذه النظرة الراضية للإسلام كدين يصح العقيدة المسيحية ويصح المسار الذي انحرف بها عن الجادة، أشار جون إسبوزيتو⁽¹⁾ إلى هذه النظرة فقال: "لقد شكل نجاح الإسلام وتوسعه الباكر تحدياً على المستوى اللاهوتي، السياسي والثقافي وأثبت أنه عقبة كؤود في سبيل الفهم، كما شكل تهديداً للغرب المسيحي"⁽²⁾، فواجه القساوسة والرهبان هذا الدين الجديد بالشبه وكثرت النقاشات بين العلماء المسلمين والعلماء من الدين المسيحي، وظهرت في شكل علم جديد وظيفته الرد على هذه الشبهات ومناقشتها؛ هو علم الردود أو علم الملل والنحل، فبدأت الكتابة في هذا العلم منذ القرن الثاني الهجري، ومن أمثلة هذه المؤلفات: "جواب قسطنطين عن الرشيد" لأبي الربيع محمد بن الليث الخطيب⁽³⁾ (ت193هـ)، و"الرد على النصارى" لأبي محمد القاسم الرسي⁽⁴⁾ (ت246هـ)، و"الرد على أصناف النصارى" لأبي الحسن بن ربن الطبري⁽⁵⁾ (ت246هـ) وغيرها كثير⁽⁶⁾، وانتقل المسلمون في المراحل المتقدمة من هذا العلم من مقام الرد إلى مقام الباحث في الأديان الأخرى للتعرف عليها وتسهيل الرد عليها من منطلق عقيدتها، وبلغ ذروته لمدة

⁽¹⁾ جون إسبوزيتو ولد في 19 مايو 1940 بمقاطعة بروكلين بمدينة نيويورك، وهو أستاذ جامعي في الأديان والشئون الدولية والدراسات الإسلامية بجامعة جورج تاون، والمدير المؤسس لمركز الأمير الوليد بن طلال للتفاهم الإسلامي- المسيحي. الموسوعة الحرة ويكيبيديا:

<https://gufaculty360.georgetown.edu/s/contact/00336000014RbJ4AAK/john-esposito>

⁽²⁾ جون إسبوزيتو: التهديد الإسلامي خرافة أم حقيقة؟، ص45.

⁽³⁾ هو محمد بن الليث الخطيب ويكنى أبا الربيع، ويعرف بالفقيه، وكان بليغاً، مترسلاً، كاتباً، فقيهاً، متكلماً بارعاً، ويقال إنه من أسمع خلق الله، من مؤلفاته: كتاب الرد على الزنادقة، وعظة هارون الرشيد. رسالة أبي الربيع محمد بن الليث من هارون الرشيد إلى قسطنطين ملك الروم، تح: خالد محمد عبده، ص3.

⁽⁴⁾ القاسم بن إبراهيم ابن إسماعيل بن الحسن الحسني الهاشمي، الرسي، أبو محمد، ولد سنة (169هـ/785م)، فقيه وشاعر، مشارك في أصناف العلوم، من تصانيفه: الرد على ابن المقفع، سياسة النفس، العدل والتوحيد، الناسخ والمنسوخ، توفي في الرس سنة (246هـ/860م). عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين، 636/2.

⁽⁵⁾ علي بن سهل بن ربن الطبري أبو الحسن، طبيب، حكيم. عالم بالطب والبيوعيات والإنجيل ولد بطبرستان، ونشأ فيها، وأسلم على يد المعتصم العباسي، كان يكتب ويؤلف بالعربية والفارسية وهو الذي علم أبا بكر الرازي صناعة الطب، من تصانيفه: فردوس الحكمة، وتحفة الملوك، توفي سنة (227هـ/841م). عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين، مرجع سابق، 449/2.

⁽⁶⁾ للتعرف على المزيد من المؤلفات انظر: خالد بن علي مفلاس: إنتاج ما صنفه المسلمون في مجادلة أهل الكتاب من اليهود والنصارى عبر القرون الأربعة عشر.

قرون من القرن الثالث إلى القرن الثامن الهجري، ويشير إريك شارب⁽¹⁾ إلى هذه النقاشات العقائدية بين الإسلام والأديان الأخرى، ويذكر ظهور عدد من الكتاب المسلمين الذين تستحق أعمالهم الذكر في نظره والذين حاولوا وصف الأديان المعاصرة لهم أو مواجهتها، منهم الطبري⁽²⁾ (ت 310هـ) في كتابه عن الديانة الفارسية، والمسعودي⁽³⁾ (ت 346هـ) عن اليهودية والمسيحية وأديان الهند، والبيروني⁽⁴⁾ (ت 440هـ) عن الهند وبلاد فارس، أما عن الشهرستاني⁽⁵⁾ (548هـ) فيقول: "ويبدو أن شرف كتابة أو تاريخ للدين في الأدب العالمي يعود في الواقع إلى الشهرستاني المسلم، وهذا العمل المميز قد شمل أديان العالم وقتها إلى الصين بأحزابها الدينية ومدارسها الفلسفية، وقد فاق بكثير ما كان الكتاب المسيحيون قادرون على إنتاجه في نفس الفترة"⁽⁶⁾، وهذا اعتراف منه بوجود دراسات منهجية للدين قبل نشأة علم مقارنة الأديان عند الغربيين والتي أرخ لها بالوثيقة التأسيسية لماكس مولر، لكنه لم يجرؤ على وصف هذه الكتابات بأنها علم مستقل لأن المنهج المتبع في أغلب الكتابات الإسلامية عدا ما ذكر؛ كان منهجاً نقدياً ينتصر للإسلام؛ الأمر الذي رفضه المنشغلون بعلم مقارنة الأديان الحديث لأن من أهم بنوده هو تجنب الأحكام القيمية.

3.3. الحروب الصليبية:

(1) سبق تعريفه.

(2) محمد بن جرير بن يزيد الطبري أبو جعفر مفسر ومقري، ومحدث ومؤرخ، فقيه أصولي، مجتهد، ولد بأمل طبرستان في آخر سنة (224م/839)، وطوف الأقاليم، واستوطن بغداد، من مؤلفاته: تاريخ الأمم والملوك، تهذيب الآثار، وجامع البيان في تأويل القرآن، توفي سنة (310م/923). عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين، مرجع سابق، 3/190.

(3) علي بن الحسين بن علي المسعودي أبو الحسن، مؤرخ إخباري، صاحب فنون، توفي بمصر في جمادى الآخرة، من تصانيفه الكثيرة في مجال العقائد والأديان: المقالات في أصول الديانة، والباقيات في أصول الديانات، نظم الأدلة في أصول الملة، الإبانة في أصول الديانة وغيرها كثير. عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين، مرجع سابق، 2/ (433-434).

(4) محمد بن أحمد البيروني الخوارزمي أبو الريحان، حكيم ورياضي، فلكي، طبيب، أديب، لغوي، مؤرخ، أعظم عالم موسوعي ولد في 3 ذي الحجة 362هـ الموافق لـ 4 أيلول 973م، والمعروف عنه أن مؤلفاته تزيد عن 150 مؤلفاً، ويعد البيروني مؤرخ العلوم، من مؤلفاته: الآثار الباقية عن القرون الخالية، تحقيق ما للهد من مقولة مقبولة، وغيرها كثير، توفي سنة (440م/1048). عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين، مرجع سابق، 3/53.

(5) محمد بن عبد الكريم بن أحمد الشهرستاني، الشافعي أبو الفتح، فقيه، حكيم، متكلم على مذهب الأشعري، ولد بشهرستان بشهرستان سنة (467م/1075)، أخذ علم النظر والأصول عن أبي القاسم الأنصاري وأبي نصر القشيري، توفي بشهرستان آخر شعبان سنة (548م/1153)، من مؤلفاته: الملل والنحل، نهاية الإقدام في علم الكلام... وغيرها كثير. عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين، مرجع سابق، 3/422.

(6) Eric sharp : comparative religion a history, p11.

ظلت النظرة الغربية السلبية تجاه الإسلام مستمرة لفترة طويلة من الزمن، وقد حاول واجتهد القساوسة والرهبان على أن تظل هذه النظرة السائدة في أوساط المسيحيين؛ لإبقاء أذاغهم وأعينهم في غشاوة عن هذا الدين لمنع انتشاره وتوسعه في أوساطهم، خاصة وأن النقاشات الدينية مع المسلمين كانت تنتهي في الغالب بالهزيمة بسبب تناقض العقيدة المسيحية مع العقل والمنطق، واعتناق بعض من رجال الدين للإسلام، يقول الباحث Guy G. Stroumsa⁽¹⁾: "لم يكن بوسع الباحثين المهتمين بالإسلام في العصر الحديث أن يتصوروا أنفسهم مكتشفين لأراض عذراء للروح فمنذ البداية كان الشعور بالإسلام يشكل تهديدا كبيرا في الوعي المسيحي، وفي أوائل القرن الثامن، وصف عالم اللاهوت البيزنطي يوحنا الدمشقي الإسلام بأنه آخر البدع وأسوأها على الإطلاق"⁽²⁾؛ وظل الوصف السائد للنبي محمد (ﷺ) هو وصف النبي الكاذب والنبي المحتال والمتلاعب وأنه اخترع دينه الخاص بينما كان يتظاهر بتلقي الوحي، ويصف ألبرت حوراني⁽³⁾ جانبا من هذه النظرة والجهل بالإسلام وبعض الافتراءات حوله وحول نبيه فقال: "قد أدى الجمع بين الخوف والجهل إلى خلق مجموعة من الأساطير، بعضها سخيف وغير منصف، تصف المسلمين أنهم كانوا وثنيين يعبدونثالوثا زائفا، وكان محمد ساحرا، بل وكاردينالا في الكنيسة الرومانية منشق عنها، وهرب إلى الجزيرة العربية وأسس كنيسته الخاصة"⁽⁴⁾.

وخلال العصور الوسطى ظلت المعرفة والفضول الفكري حول الإسلام في أدنى مستوياتهما في بيزنطة والغرب، بل وزادت حدة الكره والحقد تجاه الإسلام والمسلمين بسبب تحريض رجال الدين وخاصة بابا روما للغربيين من أجل بيت المقدس لدرجة قيام الحروب الصليبية التي امتدت خلال الفترة بين (1069-1291م)، وبالرغم من الترجمة التي قام بها

(1) مارتن بوبر سترومسا، ولد في باريس سنة 1948م، أستاذ فخري لمقارنة الأديان بالجامعة العبرية في القدس، وأستاذ فخري لدراسة الديانات الإبراهيمية جامعة أكسفورد، له عدد كبير من المؤلفات والمشاركات العلمية في عدد من الجامعات الأوروبية والأمريكية. <https://huji.academia.edu/guystroumsa>

(2) Guy G. Stroumsa : A new science (the discovery of religion in the age of reason), p124.

(3) ألبرت حبيب حوراني هو مؤرخ إنكليزي من أصل لبناني متخصص في تاريخ العرب والشرق الأوسط، ولد في 31 مارس 1915م، عمل مع أرنولد توينبي وهاملتون جيب، ودرس بعدد من الجامعات الغربية، توفي في 1 جانفي 1993م بأكسفورد. <https://mesana.org/awards/category/albert-hourani-book-award/albert-hourani-biographical-sketch>

(4) Albert Hourani : Europe and the middle east, p9.

الراهب الإنجليزي "روبرت الكيتوني"⁽¹⁾ والراهب الألماني "هرمان"⁽²⁾ بإيعاز من بطرس المجلد⁽³⁾ رئيس دير كلوني سنة 1143م للقرآن الكريم⁽⁴⁾ والتي تعتبر أول محاولة لفهم الآخر بهدف الحوار معه، وظلت النظرة السلبية على حالها مع ظهور بوادر أساليب جديدة في التعامل الغربي مع المسلمين والتي سنعرضها في المبحث الموالي.

4.3. علم الاستشراق ونشأة الدراسات الإسلامية:

وبعد انتهاء الحملات الصليبية ازداد شعور الغربيين بالكراهة والخوف من الإسلام والمسلمين، بسبب فشلهم الذريع في استرجاع بيت المقدس وتدمير الإسلام، فتوجهوا للبحث عن حلول بديلة تحقق أهدافهم دون مواجهات عسكرية، فقرروا استعمال سلاح المعرفة، فتوجه عدد كبير من رجال الكنسية لدراسة الإسلام والمسلمين للتعرف على نقاط ضعفهم لاستغلالها، ونقاط قوتهم لإضعافها وتدميرها، ولقد أفرد الدكتور محمد عبد الله شرقاوي⁽⁵⁾ كتاباً كاملاً بعنوان: "الاستشراق وتشكيل نظرة الغرب للإسلام"، يتحدث فيه عن دور الاستشراق في تشكيل النظرة الغربية نحو الإسلام بل في تشويه صورة الإسلام والمسلمين ونشر الحقد والكراهة اتجاههما والخوف منهما⁽⁶⁾.

فعلم الاستشراق من الأشياء التي ركزت على ترسيخ النظرة الغربية السلبية نحو الإسلام في كثير من الأحيان، وهو كما يعرفه الباحث محمد حسن زمامي⁽⁷⁾ بعد أن عرض

(1) روبرت الكيتوني (Robert of Ketton) عالم فلك ومترجم وكاهن ودبلوماسي إنكليزي نشط في إسبانيا بين 1141 و1157 www.orientalists.net.

(2) هرمان الدماطي (Herman of Carinthia) (1100م- 1143م) : ورد تاريخان آخران لولادته ووفاته (1110-1160)، عالم في فقه اللغة وفيلسوف وعالم فلك ومنجم وعالم رياضيات ومترجم ومؤلف عرف أيضاً بأسماء هرمان الكاريني، عمل مع روبرت الكيتوني على ترجمة القرآن الكريم. <https://www.orientalists.net>.

(3) بطرس المجلد (1092م- 1156م)؛ راهب وعالم لاهوت فرنسي اسمه الأصلي بيار دو مونبواسيه (Pierre de Montboissier). ومعروف أيضاً ببطرس المحترم وبطرس المكرم، كان من الأوائل الذين دعوا لنشر المسيحية بين المسلمين عن طريق الحوار. عبد الرحمان بدوي: موسوعة المستشرقين، ص 110.

(4) See: Guy G. Stroumsa : A new science, p124; Eric sharp : comparative religion a history, p12

(5) محمد عبد الله شرقاوي: ولد بمحافظة قلنا في 1950/11/5م، أستاذ ورئيس قسم الفلسفة الإسلامية ومقارنة الأديان بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة، صدر له أكثر من 20 كتاباً بين تأليف وتحقيق. غلاف كتابه: بحوث في مقارنة الأديان.

(6) محمد عبد الله شرقاوي: الاستشراق وتشكيل نظرة الغرب للإسلام، ص 29.

(7) عضو هيئة التدريس جامعة المصطفى العالمية، متخصص في الاستشراق والفكر الاستشراقي.

وناقش عدد من التعريفات الواردة عند الغربيين والمسلمين وتوصل إلى التعريف الجامع والعام التالي: "الاستشراق هو مجموعة جهود علمية للغربيين تهدف إلى التعرف على الدول والظروف الجغرافية، والمصادر، والمعادن، والتاريخ، والقوميات، واللغات، والآداب، والفنون، والتقاليد، والعادات، والثقافة، والمعتقدات، والأديان، والحضارات، والخصائص النفسية، والحساسيات الروحية، والأبعاد الخطيرة، ونقاط الضعف عند أهل المشرق"⁽¹⁾، وهدف هذه الجهود العلمية غالباً ما تكون مسوقة بغايات أخرى غير العلم كحماية المصالح الغربية في المشرق.

وعليه فهو علم لا يختص بدراسة الإسلام فقط بل بدراسة كل ما هو شرقي، ودراسة الإسلام فرع فقط من الفروع التي بدأ التركيز عليها للأغراض ذاتها التي ذكرت في التعريف، وأكد شرقاوي أن دراسة الإسلام ضمن الاستشراق قد نشأت في كنف الكنيسة وبمباركة من باباواتها⁽²⁾، فعند انعقاد مجمع فيينا المسكوني (1311-1312م) تقرر فيه إنشاء كراسي لتدريس اللغات اليونانية والعبرية والآرامية "الكلدانية" والعربية في البلاط البابوي وجامعات باريس وأكسفورد

وبولونيا وسالامانكا⁽³⁾، وكان هذا استجابة لمناشدات سابقة من قبل رامون لول⁽⁴⁾ وآخرين الذين زعموا أن المسيحيين والمسلمين يجب أن يتحاوروا لا أن يتقاتلوا، لكن بعد سقوط غرناطة سنة 1492م ومغادرة المسلمين لإسبانيا تم إيقاف ومنع تدريس اللغة العربية؛ إلا أنها أعيدت لأغراض مختلفة أهمها:

- الكتابة المسيحية باللغة العربية من شأنها أن تدعم التواصل التبشيري مع المسلمين⁽⁵⁾.
- الاستفادة من إنجازات العلوم المدونة باللغة العربية عن طريق ترجمتها⁽¹⁾.

⁽¹⁾ محمد حسن زماني: الاستشراق والدراسات الإسلامية لدى الغربيين، ص 48.

⁽²⁾ محمد عبد الله شرقاوي: الاستشراق وتشكيل نظرة الغرب للإسلام، مرجع سابق، ص 33.

⁽³⁾ Adapted from: Guy G. Stroumsa : A new science, p124.

⁽⁴⁾ رايغوندو لوليو _ رامون لول (Ramon Llull) ولد في بالما من جزيرة ميورقة بإسبانيا سنة 1235م، شاعر وقصصي ورياضي ومعلم ومبشر ومتصوف ورحالة، تعلم اللغة العربية وحفظ القرآن الكريم عن عبد أسود في مدة تسع سنوات (1266-1275م)، توفي سنة 1314م، من مؤلفاته: الحكماء الثلاثة، وفيه يعرض يهودي ومسيحي ومسلم فضائل الدين الذي يعتنقه (ميورقه 1275م)، تأملات في الله، وهي موسوعة في علوم الدين كتب القسم الأكبر منها بالعربية ثم نقلها وأتمها بالقطلوونية (1272م). المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية. <https://www.iicsq.iq/?id=8>

⁽⁵⁾ Adapted from: Clinton bennett: The bloomsbury companion to islamic studies, p7.

- فهم الإسلام حتى يمكن الرد على المسلمين ونشر المسيحية في أوساطهم⁽²⁾.

ويذكر ألبرت حوراني أن الإسلام لا يستحق الدراسة بالنسبة للمسيحيين إلا لغرض كشف أخطائه، أو لغرض تحديد مكانه بالضبط على طيف الوثنية أو البدعة⁽³⁾.

وفعلا تأسست كراسي اللغة العربية في باريس سنة 1587م ثم ليدن سنة 1599م، وكامبريدج سنة 1632م وأكسفورد سنة 1636م ثم أنشأت كل من أكسفورد وكامبريدج كرسيا ثانيا سنة 1724م.

وقد نتج عن تعليم اللغة العربية في الجامعات الأوروبية الاهتمام بالتأليف في اللغة، وفي بعض الجوانب من الدين الإسلامي وخاصة تاريخ العرب والسيرة النبوية، ومن أشهر الباحثين الذين نشروا أعمالا عن الإسلام في هذه الفترة: كتابة (Tomas Van Erpie) (1584 - 1624) صاحب أول كتاب في النحو العربي، و Jacob Golois (1596 - 1667م)، و Edward pacock.

وقد قام الأستاذ B. d'herbelot (1625 - 1695م) بكتابة أول كتاب له أهمية خاصة بعنوان "Encyclopedia of Islam" عام 1597م، وهذا الكتاب كان عبارة عن محاولة لكتابة موسوعة إسلامية⁽⁴⁾.

والواقع أن بعض الذين شغلوا هذه الكراسي كانوا مهتمين بالإسلام، بينما كثيرون منهم لا يهتمون به كثيرا أو لا يهتمون به على الإطلاق، وأغلبهم تعلموا اللغة العربية للاطلاع على العلوم المدونة باللغة العربية كالطب، لكنهم كرهوا الإسلام وحاربوه، ومع ذلك تحول بعضهم للاهتمام به بالرغم من موقفه العدائي اتجاهه إلا أنه لا ينكر تفوق العرب وتميزهم في سلاحهم وعلمهم ومنهم سايمون أوكلي (1678 - 1720م)⁽⁵⁾.

وصف الباحث Guy Stroumsa نظرة الباحثين الغربيين للإسلام والمسلمين في هذه الفترة فقل: "إن القصة الحزينة للتحيز والعداء ضد الإسلام من جانب المثقفين المسيحيين

(1) Adapted from: Guy G. stroumsa : A new science, p124.

(2) بتصرف: نذير حمادو: الخلفية التاريخية للعلاقة بين الإسلام والغرب ودور المستشرقين في تشويه صورة الإسلام، ص 336.

(3) Adapted from: Albert Hourani : Europe and the midle east, p8.

(4) بتصرف: نذير حمادو: الخلفية التاريخية للعلاقة بين الإسلام والغرب ودور المستشرقين في تشويه صورة الإسلام، ص 337.

(5) See: Clinton bennett: The bloomsbury companion to islamic studies, p7.

في فجر العصر الحديث لا تحتاج إلى شرح وتوضيح، ولكن هذا التحيز والعداء قد تغير بطرق غريبة خلال القرن السابع عشر، وكان التآكل التدريجي للموقف التقليدي والظهور التدريجي لموقف جديد أكثر انفتاحا هو العامل الأكثر أهمية في ولادة الدراسة الحديثة للإسلام⁽¹⁾، وحسب كلينتون بينيت فإن مطلع القرن الثامن عشر هو بداية المرحلة الثانية من تطور اهتمام الغربيين بدراسة الإسلام، والتي بدأت معها النظرة الغربية نحو الإسلام تتغير تدريجيا نظرا لتغير الفكر الغربي واهتماماته، وتحرره من سيطرة الكنيسة والفكر اللاهوتي، الذي كان شديد الرفض لدراسة الأديان بصفة عامة والإسلام بصفة خاصة إذ كان يستبعد من الدراسة في الكليات والجامعات الغربية، لأن دراسته قد تؤدي إلى إضعاف الصورة السلبية التي نشرت وسادت عن الإسلام وعن نبيه محمد (ﷺ) مما يؤدي بالضرورة إلى وضعهما على قدم المساواة مع المسيحية وعيسى (ﷺ)، ومقارنة المسيحية مع الإسلام قد يؤدي للتوصل إلى أنهما متساويان في الصلاحية وتساويهما في الصلاحية يعني تساويهما أيضا في عدمها، والإسلام في نظر المسيحيين وضعه رجل محتال، إذن فالمسيحية أيضا كذلك وضعها محتالون، وهذا تشويه لصورتها وإسقاط لقداستها في أذهان معتنقيها.

وقد أشار ألبرت حوراني إلى هذه الفكرة كتيار خفي في الفكر الأوروبي، بدأ في العصور الوسطى وازداد قوة في القرن الثامن عشر، والذي استخدم حكمه على الإسلام كإدانة غير مباشرة للمسيحية وللأديان التي تدعي أن مصدرها الوحي⁽²⁾.

وبالرغم من أن الحركة الاستشراقية في هذه الفترة وما تلاها كانت في أوجها، ومع أنها في أغلبها كانت أسيرة الأحكام المسبقة، والنظرة السلبية تجاه الإسلام؛ إلا أنه قد ظهر من المستشرقين من يدافع عن الإسلام ويحارب القصص المزورة والمدسوسة حوله وحول نبيه، ومن هؤلاء: ريتشارد سيمون (1638-1712م) وهو قسيس فرنسي صاحب كتاب "التاريخ النقدي للعهد القديم" و"تاريخ نقد عقائد الشعوب الشرقية وعاداتها" الذي نشر سنة 1684م؛ والذي خصص الفصل الخامس عشر منه للحديث عن الإسلام وقد أثنى في كتابه

⁽¹⁾ Guy G. Stroumsa : A new science, p125.

⁽²⁾ انظر: محمد عبد الله شرقاوي: الإستشراق وتشكيل نظرة الغرب للإسلام مرجع سابق، ص 87.

Albert Hourani : Europe and the middle east, p32.

هذا على الإسلام وعرضه بأسلوب علي⁽¹⁾، وبير بايل (1647- 1706م) وهو فيلسوف الشكية وصاحب أول دراسة نقدية للعقيدة المسيحية الذي أشاد بالإسلام وأنه على مستوى عال من الأخلاق ورد على العديد من الشبه الموجهة إليه، وهنري دي بولانفيليه (1658- 1722م)، وهو مؤرخ ومفكر فرنسي كان أول من أنصف النبي محمد (ﷺ) في كتابه "حياة محمد" والذي يقر فيه أن الفكر الديني لمحمد متوافق تماما مع أضواء العقل مما جعله يستقطب الناس لاعتناقه من مختلف الأمم⁽²⁾، ولقد قوبلت هذه الآراء العقلانية وهذا التحول الجذري في صورة النبي محمد (ﷺ) وتغيير النظرة القديمة إليه على أنه محتال بالرفض والمعارضة ومع ذلك فإن هذا التغير لا رجعة فيه فقد تحول لكونه شخصية تاريخية مؤسسة لدين من الأديان.

وهذا التحول البسيط في النظرة الغربية للإسلام ونبيه كان له تأثير كبير على الدراسات الدينية، فبينما كانت هي تتغير من النظرة السلبية نحو الاعتدال، كانت النظرة إلى المسيحية واليهودية تتغير على النقيض من ذلك، وظلت هذه النظرة المعتدلة (لا يعترف به كدين صحيح لكن يعترف بنبوة محمد (ﷺ)) سائدة عند كثير من الباحثين، رغم وجود نشاط معاكس أيضا في المقابل هو نشاط المستشرقين المغرضين، والمنصرين.

ويمكننا أن نلخص أسباب ظهور الصورة السلبية للإسلام في الدراسات الغربية والتي فصلها كلينتون بينيت في كتابه دراسة الإسلام فيما يأتي:

1. الاعتماد على المصادر الثانوية لمؤلفين غير مسلمين، تصور الإسلام على أنه شرا وحشيا ولعنة على البشرية.
2. دراسة الإسلام بهدف تشويهه لتعزيز المسيحية.
3. الانطلاق من افتراض تفوق الثقافة الغربية يؤدي إلى التحيز.
4. الحاجة إلى تبرير المشاريع الاستعمارية والإمبريالية الهادفة إلى السيطرة على العالم الإسلامي⁽³⁾.

(1) see: Richard Simon: Histoire critique, p164- 183.

(2) see: Henri de Boulainvilliers: The life of Mahomet, p136.

(3) Adapted from: Clinton Bennett: studying Islam(the critical issues), p3.

وحصيلة ما سبق أن الإسلام قوبل بالرفض من قبل اليهود والنصارى ولم يعترفوا به كدين سماوي ولا بنبيه كنبي بل كرجل محتال، بينما الإسلام اعترف بهم كأديان سماوية محرفة حادت عن طريق التوحيد.

ونشأ تبعاً لذلك علم الملل كرد فعل على الشبهات الواردة من اليهود والنصارى وبدأت الكتابة فيه منذ القرن الثاني الهجري وانتقل من مقام الرد إلى مقام البحث في الأديان الأخرى لتسهيل الرد عليها، في المقابل اجتهدت الكنيسة في تعبئة الرأي العام الغربي ضد الإسلام ونبيه، والتحريض ضده لدرجة قيام الحروب الصليبية (1069م- 1291م)، من أجل استرداد بيت المقدس، وأدى فشل هذه الحروب إلى زيادة الحقد والكراهة اتجاه الإسلام والمسلمين فتوجهوا لدراساتهم بهدف مواجهتهم بطرق وأساليب جديدة فظهر علم الاستشراق الذي كرس النظرة السلبية تجاه الإسلام ورسخها، وقد امتازت هذه المرحلة بالنظرة المتحيزة في أغلب صورها.

وبالرغم من ذلك ظهرت بوادر نشأة علم جديد سعت إلى دراسة الأديان من غير تحيز، وجعلت النظرة الغربية تميل إلى الاعتدال، بسبب تحرر الفكر الغربي من سيطرة الكنيسة والفكر اللاهوتي، اللذان رفضا الدراسة المقارنة للإسلام مع المسيحية خشية تراجع مكانة المسيحية وتشويه صورتها، وظهر بعض الباحثين المنصفين شذوا عن التيار المعادي السائد ودافعوا عن الإسلام وحاربوا القصص المزورة حوله وحول نبيه، فانتقلت النظرة الغربية من الرفض التام إلى قبول كون محمد (ﷺ) نبي أو بطل حكيم أسس ديناً جديداً، وفي المبحث الموالي سنعرف ما إذا تمكن هذا العلم الجديد من ترسيخ النظرة المعتدلة وتطويرها أم لا؟

4. النظرة الغربية نحو الإسلام بعد نشأة علم مقارنة الأديان:

1.3. نشأة علم مقارنة الأديان (البوادر- العوامل- الأهداف- الصعوبات):

تراجعت مكانة السلطة الكنسية وتحرر العلم من قيودها مع بداية عصر التنوير وظهر مبادئ سيادة العقل والحواس كمصادر أساسية للمعرفة ، وبدأت بوادر تطور العلوم ونشأتها بالظهور، ومن بين هذه العلوم التي حالت الكنيسة دون تطورها؛ علم مقارنة الأديان، والذي بدأت بوادر نشأته بعد التحول العميق الذي طرأ على المناهج العلمية في

التعامل مع أديان البشر والذي حدث بين عصر النهضة وعصر التنوير، ولعل أهم العوامل التي ساعدت على نشأته هي اهتمام الغربيين بدراسة اللغات الشرقية ثم ثقافتها، وبدء ظهور الاكتشافات العلمية، والحروب والثورات الدينية، قال Guy Stroumsa: "والواقع أن التأثيرات المشتركة لهذه الظواهر الثلاث المتميزة وحدها هي التي تسمح بتشكيل نوع جديد من الفضوليات الفكرية وولادة الأديان المقارنة"⁽¹⁾؛ واهتمام الغربيين بدراسة الأديان الشرقية في نظره لم يكن بهدف التحكم في أصحاب هذه الأديان أو السيطرة عليهم، بل كان الهدف غالبا هو إشباع الفضول الفكري الذي سيطر على الباحثين خلال هذه الفترة من تاريخ أوروبا خاصة والعالم عامة، لكن الواقع يقول أن أغلب الباحثين في الأديان والثقافات الشرقية قبل نشأة علم مقارنة الأديان كانت لهم أهداف أخرى عدا الفضول الفكري وسخروا نتائج دراساتهم لأهداف سياسية أو اقتصادية أو حتى عسكرية⁽²⁾.

إن أهداف هذا العلم تختلف عن أهداف غيره من الدراسات الدينية، وخاصة تلك التي ارتبطت بالاستشراق، فقد امتاز هذا العلم بالتركيز على بحث الحقيقة ولا شيء غير الحقيقة غالبا، ووفقا لمؤسس هذا العلم ماكس مولر فإن مثل هذا العلم الديني لا بد وأن: "يقوم على مقارنة نزهة وعلمية حقا بين كل الديانات أو على الأقل بين أهمها"⁽³⁾، كما أنها تستلزم بعض الانفتاح الذهني والابتعاد ولو قليلا عن التقاليد الدينية الخاصة بالباحث والتي يسميها أغلب الباحثين بالموضوعية "Objectivity"، وتعني أيضا تجنب الأحكام القيميّة في دراسة الأديان.

لقد واجه هذا العلم خلال نشأته الأولى صعوبات تحدث عنها إريك شارب بالتفصيل ومن بينها صعوبة تأسيس كراسي لتدريسه في الجامعات والكليات اللاهوتية في عدد من البلدان الغربية، إضافة إلى رفضه كعلم مستقل عن علم اللاهوت، أو قبوله مع شروط لمنع تصادم نتائجه مع الديانة المسيحية، ذلك أن الكليات اللاهوتية تأسست على أسس دينية في الغالب، والسماح بدراسة الأديان الأخرى ومقارنتها مع المسيحية على حد تعبير شارب: "كأنهم يدقون المسامير في نعش الكنيسة"، والتي بدأ سلطانها بالزوال فعلا، ويعتبر شارب أن

⁽¹⁾ Guy G. Stroumsa : A new science, p11; John R. Hinnells: The Routledge companion to the study of religion, p229.

⁽²⁾ Adapted from: Guy G. Stroumsa : A new science, p11-12.

⁽³⁾ John R. Hinnells: the Routledge companion to the study of religions, p21.

أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين يكون علم مقارنة الأديان قد وصل إلى نهاية الفترة التكوينية التي كان "آباؤها المؤسسون" كما يصفهم هم: "C.P Tiele, Max Müller, Nathan Söderblom, W.Brede Kristensen... وغيرهم"⁽¹⁾، وأرخ لذلك بنشر هنري لويس جوردان لكتابه المطول الذي يؤرخ فيه لهذا العلم بعنوان: "الدين المقارن نشأته ونموه"⁽²⁾ سنة 1905م، ونشر بعده كتابا بين سنة 1910 و 1915م؛ قام فيه بجهد كبير لجمع أهم الأدبيات التي يمكن تصنيفها ضمن هذا العلم والتي نشرت من سنة (1900-1915) عنوانه: "الدين المقارن: دراسة استقصائية لأدبياته الحديثة"⁽³⁾ وهو في ثلاثة أجزاء، ونشر بعده كتابا سنة 1915 أيضا تحدث فيه عن العلوم التي يمكن أن تدعم مقارنة الأديان وتساعد في تطوره أو تعيق تطوره؛ عنوان الكتاب: "الدين المقارن ملحقاته وحلفاؤه"⁽⁴⁾، وله دراسات أخرى يبين فيها معنى هذا العلم وقيمه ومبادئه ومشاكله ليبين بذلك أن هذا الحقل من الدراسات قد أصبح علما متكاملًا مستقلا له مناهجه ومصادره ومبادئه الخاصة به.

وقد تمت دراسة الأديان بمناهج مختلفة أهمها المنهج التاريخي الوصفي والمنهج التحليلي المقارن والمنهج الظاهراتي، ومن وجهات نظر مختلفة كل من جانب تخصصه، وكان التركيز الأساسي خلال هذه الفترة على مفهوم ونشأة الدين، فظهرت النظريات المختلفة كالنظرية الروحانية (إدوارد تايلور [1832-1917م]) والطوطمية (إميل دوركايم [1858-1917م]) والنفسية (سيجموند فرويد [1856-1987م]) وغيرها.

وكما سبق وبيننا فإن نشأة علم مقارنة الأديان كانت في فترة انقسم فيها الباحثون في نظرتهم نحو الإسلام إلى قسمين: النظرة الموضوعية المعتدلة، ونظرة القرون الوسطى التي استمر عليها أغلب المستشرقين الذين تحالفوا مع الاستعمار السياسي والعسكري والثقافي من جهة والمنصرين من جهة أخرى الذين استمروا على نشاطهم التبشيري على حساب تشويه صورة الإسلام، ويسرد آرثر جلين ليونارد (1856م-1939م) وهو أحد الباحثين في

(1) Eric sharp : comparative religion a history, p295.

(2) Louis Henry Jordan: Comparative religion its genesis and growth.

(3) Louis Henry Jordan: A survey of its recent literature.

(4) Louis Henry Jordan: Its adjuncts and allies.

الإسلام مطلع القرن العشرين تاريخ عدا المبعشرين المسيحيين للإسلام واصفا إياه بأنه غير مبرر ونابع من جهلهم بالروح والأخلاق الإسلامية بالإضافة إلى غطرستهم المستمرة⁽¹⁾.

وعلى الطرف الآخر من النقيض نجد المستشرق الاسكتلندي ويليام موير (1819-1905م) وقد سخر مؤلفاته عن الإسلام للطعن فيه وفي نبيه (ﷺ) ومن بينها كتابه "the rise and decline of islam" الذي ادعى فيه أن الإسلام إنما جاء للعرب فقط وليس رسالة عالمية، وبالتالي فهي لا تصلح إلا للعرب وأن الإسلام يضطهد المرأة وهذا لن يتقدم أو يتطور أبدا فهو دين بدائي وأهدافه مادية بحتة⁽²⁾، وغيرها من الشبه التي عرضها خلال كتابه، والتي تعكس نظريته السلبية للإسلام والمسلمين.

2.4. تطور النظرة الغربية للإسلام في ظل الدراسات الدينية المقارنة منذ نشأتها وخلال القرن العشرين (1873م-1999م):

خلال بحثنا عن تطور النظرة الغربية إلى الإسلام والمسلمين لم نجد دراسات عن تأثير علم مقارنة الأديان على تغير النظرة السلبية المتجذرة في العقلية الغربية، إلا ما كان من الدكتور محمد عبد الله شرقاوي الذي عرض تأثير الاستشراق على تشكيل نظرة معينة تجاه الإسلام كانت سلبية إلى أبعد الحدود وغير واقعية، وفي نهاية دراسته تطرق إلى عرض مختصر لصورة الإسلام في كتابات علماء مقارنة الأديان، فخلص أولا الصورة المشوهة التي رسمها المنصرون والمستشرقون، ثم تلاها بعرض صورته كما رسمها علماء مقارنة الأديان من الغربيين وبين بعض أخطائهم وسلبياتهم إلى جانب إقرارهم بإساءة الفهم المتعمد للإسلام من قبل العالم الغربي، ثم عرض لأكثر الشبهات تداولها وذكرها من طرفهم وردودهم عليها؛ كي يوضح أن من بينهم باحثين منصفين فعلا تمام الإنصاف، وبالرغم من ذلك فهو قال: "إنه على الرغم من انفصال علم مقارنة الأديان عن الاستشراق والتبشير موضوعا ومنهجيا فإنه قد وظف إلى حد ما بعض ملامح تلك الصورة السطحية التي استقرت في البيئة الغربية"⁽³⁾، لكنه خلال عرضه كان ميالا إلى القول بأن علم مقارنة الأديان كان له تأثير في

(1) Adapted from: Major Arthur Glyn Leonard : Islam her moral and spiritual value(A rational and psychological study), p136.

(2) Adapted from: Muir (sir) William : The rise and decline of Islam, Paternoster-Piccadilly, p60.

(3) محمد عبد الله شرقاوي: الاستشراق وتشكيل نظرة الغرب للإسلام، مرجع سابق، ص204.

تحول النظرة الغربية إلى الإسلام والمسلمين ويعزو ذلك إلى تحرر الباحثين من العمل لحساب جهة معينة ووفق برامج وخطط مسبقة، بالإضافة إلى المنهج الموضوعي، واستقاء المعلومات من المصادر المباشرة للإسلام، والمنهج المقارن الذي يكشف الخصائص العامة لكل دين.

ولكي نعرف ونفهم التغيرات التي طرأت خلال القرن العشرين - وهو قرن بدايات علم مقارنة الأديان - على صورة الإسلام والمسلمين لابد من الاطلاع على عدد لا بأس به من كتابات الغربيين في هذا العلم، لأن التغير لا يحدث فجأة بل عبر مراحل لها عوامل وأسباب ومؤثرات داخلية وخارجية، وغيرها، وأول ما نبدأ به:

أولاً: تسمية الإسلام بغير اسمه كنوع من عدم الاعتراف به

تسمية الإسلام بأسماء غير الإسلام هي ظاهرة موروثية عن الدراسات الاستشراقية ولم يتمكن الباحثون في علم مقارنة الأديان من التخلص منها، فنجدهم يسمونه بالمُحمَّدية "Mohammedanism"؛ أو الماهوميديانية "Mahommedanism"، وهي العادة الشائعة في تسمية أغلب الأديان باسم من يعتبرونه مؤسسها، كالنصرانية نسبة إلى المسيح والبوذية نسبة إلى بوذا والزرادشتية نسبة إلى زرادشت، وهذا ما أشارت إليه موسوعة بريطانيا من أن هذا المصطلح نشأ في الغرب ربما قياساً على الدين المسيحي لكنه غير معترف به عند الكتاب المسلمين⁽¹⁾، وجاء في قاموس ويبستيرز (Webster's) أن: "Mahomet or Muhammad or Mohammed" هو موجد النظام الديني الذي سمي بعده في أوروبا بالمحمدية وسماه هو نفسه بالإسلام أو الحنيفية⁽²⁾، وفي القاموس ذاته يشرح هذا المصطلح بأنه يدل على الإسلام ويستعمل سابقاً من غير المسلمين⁽³⁾.

ويضيف صاحب كتاب الآلهة والأديان زيادة على ما سبق تفاصيل أكثر عن أصل استعمال الكلمة فقال: "ويعود تاريخ التهجئة الأقدم Mahometan إلى عام 1529م، ولا يزال المصطلح قيد الاستخدام المحدود"⁽⁴⁾، بينما وثق قاموس أكسفورد الإنجليزي أول

(1) Adapted from: The encyclopedia Britannica, Vol 17, Mohammedan religion, p417 .

(2) Michael agnes: Webster's new world dictionary, Mahomet, p399.

(3) Michael agnes: Webster's new world dictionary, Mohammdan, p417.

(4) Saul Silas Fethi: Gods and Religions, p399..

استعمال للكلمة سنة 1663م ووضع رسماً بيانياً يوضح مدى شيوع استعمال الكلمة منذ تاريخ أول استعمال لها إلى غاية سنة 1999م وتبين فيه أن شيوع الكلمة امتد خلال الفترة التي نشطت فيها الدراسات الاستشراقية حول الإسلام وبلغت ذروتها بين سنتي 1810-1950م، وبدأت في التراجع والزوال منذ سنة 1960م⁽¹⁾، وهذا فعلاً ما لاحظته من خلال الاطلاع على الدراسات الغربية حول الإسلام؛ فأغلب الدراسات خلال الفترة المذكورة كان الغالب فيها استعمال كلمة المحمدية للدلالة على الإسلام، بالرغم من علمهم بأنه لا يسمى كذلك عند معتنقيه ومن القرآن أيضاً؛ فنجد أن صاحب قاموس الإسلام عرف الإسلام بأنه الكلمة التي يستعملها المحمديون عموماً للدلالة على دينهم ويقول القرآن أن الإسلام هو دين الأنبياء جميعاً ويذكر الآيات التي تدل على ذلك وهي قوله تعالى: ﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَآلِ سَبَاطٍ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾؛ (البقرة: 136)، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾؛ (آل عمران: 85)⁽²⁾، وقد أخطأ الكاتب في موضع الآيتين فذكر أنهما من سورة آل عمران الآية 78-79 لكن موضعهما حقيقة في سورة البقرة وسورة آل عمران، وعلى الرغم من أنه سعى المسلمون بالمحمديين في شرح كلمة الإسلام إلا أنه عنون قاموسه بقاموس الإسلام.

بينما الدراسات التي دونت مطلع القرن العشرين نجد الصراع بين الاستعمالين والتدافع بينهما فأحياناً نجد عنوان الكتاب المحمدية لكن خلال عرضه يستعمل كلمة الإسلام ويغلب استعمالها كما في كتاب المحمدية لدافيد صاموئيل مارجوليوث⁽³⁾.

وبعد منتصف القرن ذاته نجدها تسمى الإسلام باسمه غالباً، وهذه الفترة هي التي وصلت فيها الدراسات المقارنة للأديان إلى مرحلة من النمو والانفصال عن الاستشراق بحيث استطاعت بناء نظرة أكثر موضوعية من خلال نقل المعلومات ووصف الأديان كما هي عند

(1) See: OED Oxford English dictionary, Mohammedan, 08/04/2025, 21:46. www.oed.com/dictionary/mohammedan.

(2) Thomas Patrick Hughes : Dictionary of Islam , p220.

(3) David Samuel Margoliouth: The early development of mohammedanism/ mohammed and the rise of Islam.

أصحابها دون تشويه أو تبديل، إلى هنا نلاحظ تغيراً تدريجياً من الناحية الشكلية وهي الاسم ولابد من التثبت من هذا التغير على مستوى المضامين.

ثانياً: تتبع تطور النظرة الغربية من خلال بعض الكتابات المقارنة للأديان

سنبدأ في عرضنا لأهم الأفكار حول الإسلام؛ التي أدلى بها الباحثون في مجال مقارنة الأديان منذ أواخر القرن التاسع عشر:

1. جيمس فريمان كلارك [1810-1888م]: الكاتب والباحث الأمريكي في علم اللاهوت صاحب كتاب "الأديان العشرة العظيمة" والتي من بينها الإسلام، الذي لا يعترف به كدين سماوي، بل هو دين استمد عقائده الأساسية أكثر من أي دين آخر من الديانات السابقة له وهما اليهودية والمسيحية ومع ذلك فقد جاء كرد فعل ضدهما، فهو ضد ضيق اليهودية وتراخي المسيحية⁽¹⁾، ويعتبر أن الإسلام والمسيحية فقط الدينين الوحيدين المثيرين لفضول الباحثين، ولهذا فالمنافسة بينهما شديدة ويعتبر الإسلام خطراً على المسيحية بسبب سرعة انتشاره العجيبة ما يشكل لغزا يحفز العقل للبحث والاستكشاف، ولا ينكر حقيقة أن النهضة العلمية الإسلامية جعلت العرب مدرسين للفلسفة والفنون، وبالرغم من تصنيفه الإسلام ضمن الأديان الموحدة إلا أنه يعده أسوأ أنواع التوحيد ووصفه بالموت؛ والجمود هو شعاره وشرطه الأساسي؛ فهو توحيد بسيط والفكرة البسيطة في نظره أدنى من المعقدة، ومع اعترافه بأستاذية المسلمين في مجال الفلسفة إلا أنه يعتبره عنصر تخلف في الحضارة⁽²⁾.

حافظ كلارك على نظرتهم السلبية للإسلام ودعمها وادعى أنه لا مستقبل له؛ حتى أنه نقل عن إرنست رينان [1823-1892م] قوله: "في الوقت الحاضر فإن الشرط الأساسي للحضارة المنتشرة هو تدمير العنصر السامي الفريد، وتدمير القوة الثيوقراطية للإسلام، وبالتالي تدمير الإسلام نفسه"⁽³⁾.

(1) Adapted from: James Freeman Clarke : Ten great religions (a comparison of all religions), part ii, p75.

(2) Adapted from: James Freeman Clarke: Ten great religions, part i, p448.

(3) Adapted from: James Freeman Clarke: Ten great religions, part i, p485.

2. جيمس جورج روش فورلنج [1824-1904م]: وهو باحث ألماني في علم مقارنة الأديان امتازت نظريته أنها كانت أقل حدة من سابقه فبالرغم من أنه يعتبر الإسلام ليس ديناً أصيلاً وأنه تطور عن الأديان التي كانت قبله كاليهودية والمسيحية والصابئية وهي التي بنى عليها محمد دينه الجديد، وشبه ما يتعرض له النبي (ﷺ) أثناء نزول الوحي بما ورد عن أنبياء بني إسرائيل وفسره بأنه مجرد هلوسات عقلية⁽¹⁾.

وأن القرآن الكريم لم يعد صالحاً لهذا الزمن، وذكر شبهة انتشاره بالسيف ورد عليها؛ بأنه بالرغم من تراجع الدول الإسلامية وضعفها منذ قرون إلا أن الإسلام لم يتوقف عن الانتشار، واستنتج بناء على ذلك أن سبب انتشاره هو بساطة إيمانه والمساواة التي يمنحها وبنيتها الأخلاقية الخيرة⁽²⁾، ولم يسلم عمله من بعض الأخطاء في عرض سيرة النبي (ﷺ) في الفصل المعنون بالتاريخ المفصل للنبي وإيمانه، منها أن "جبريل ظهر له في نوم عميق وكان يحمل ورقة حبرية كبيرة مغطاة بالكتابة، وأمره بإلحاح وثلاث مرات "اقرأ" واعترف بأنه لا يستطيع القراءة، عندما أُلقيت عليه الورقة المكتوبة وكرر ما قاله الملك ثم ظهر الله نفسه، لمس كتفيه ومكّنه من فهم كل شيء وشعر على الفور بالإلهام"، وهذه رواية خاطئة واضحة الخطأ⁽³⁾.

3. جوزيف إستلين كاربنتر [1844-1924م]: هذا الباحث الإنجليز يعد من رواد دراسة مقارنة الأديان ومن الباحثين المنصفين، فكتب عن النظرة القديمة للنبي محمد (ﷺ) أنها كانت متأثرة بمبادئ الكنيسة، وعرض النظرة السلبية التي تعرض لها الإسلام من قبل هذه الأخيرة ومن الدارسين له من المستشرقين، وأنها كانت متحيزة لكن مع القرن التاسع عشر بدأ الوضع يتغير وحدد لذلك تاريخ (08 ماي 1840م) وهو تاريخ إلقاء الكاتب البريطاني توماس كارليل [1795-1881م] لمحاضراته "The hero as Prophet" والتي أخرج بها النبي محمد (ﷺ) من جو التحيز الديني الذي تعرض له طيلة قرون من الزمن، ونسب تغير النظرة إلى عدة عوامل منها: التعمق في دراسة الدين، ونمو الأفكار الدينية بشكل واسع، والتحرر التدريجي

(1) Adapted from: James George Roche Forlong: Short studies in the science of comparative religion(All the religions of ASIA), p455; 460; 470.

(2) Adapted from: James George Roche Forlong: Short studies in the science of comparative religion(All the religions of ASIA), p455; 460; 470.

(3) See: James George Roche Forlong: Short studies in the science of comparative religion(All the religions of ASIA), p498-499.

من الحكم التاريخي المتحيز للكنيسة إضافة إلى الفهم الأفضل للأجواء الفكرية والأخلاقية التي عاش فيها محمد (ﷺ)، وإدراك أهمية الثقافة العربية للحضارة الأوروبية، هذا من جهة الدارسين أما من جهة المدروس وهو الإسلام فإنه في نظره بالرغم من بساطة رسالته إلا أنها سامية ومدفوعة بإيمان متحمس، ويعتبر النبي محمد (ﷺ) خليفة إبراهيم وموسى والمسيح (عليهم السلام) لأن تعاليمه تعود في أصلها إليهم، وبالرغم من اختلاطه بالفلسفة والتصوف والعقليات والخرافات وغيرها إلا أنه ظلّ وفياً، وحافظ على عقيدته الأولى «لا يوجد سوى إله واحد»، وهذه العوامل ساعدت على انتشاره بنسبة تفوق النمو الطبيعي للسكان خاصة في إفريقيا⁽¹⁾.

بالرغم من عدم اعتراف كاربنتر بالإسلام كدين سماوي وبأصالته إلا أنه أنصفه مقارنة بسابقيه من الباحثين.

4. ألفريد ويلهلم مارتين [1862-1933م]: الباحث الألماني في اللاهوت والأديان، امتازت نظرة هذا الباحث شبه بالموضوعية فلا هو متحيز ولا هو متعصب، فهو يعتبر أن العالم مدين للمسلمين بما قدموه من خدمات جليلة ساهمت في تقدم الحضارة بنقلهم لكنوز الأدب والفلسفة اليونانية من العصور الوسطى إلى عصر النهضة، وإسهاماتهم في مختلف العلوم، ويرى أن الإسلام من حيث الأصل والنوع أقرب إلى اليهودية والمسيحية من أي نظام ديني آخر، وادّعى بأن محمد (ﷺ) قد تأثر بالقصص اليهودية خلال رحلاته إلى الشام، وهو بذلك أعاد كلام من سبقوه، وادعى أيضاً أن القرآن احتوى على تناقضات، غير أنه ردّ على دعوى أن الإسلام دين دموي بأنه لم يكن أكثر دموية من المسيحية فهذه الأخيرة قد سفكت كثيراً من الدماء عند استيلائها على القدس، بينما المسلمون لما فتحوا القدس منحوا الحياة للمسيحيين، ويحث في كتاباته على وجوب احترام كل الأديان دون استثناء، فلكل دين إيجابيات وسلبيات، وكان يسعى من خلال دراساته للبحث عن دين عالمي بانتخاب أفضل ما في كل دين واعتماده⁽²⁾.

(1) See: Joseph Estlin Carpenter: Christianity among the religions of the world, p68, p72-75.

(2) See: Alfred Wilhelm Martin: The world's great religions (and the religion of the future), p84, p87.

5. فرانك بايرون جيفونز [1858-1936م]: عالم موسوعي إنجليزي مهتم بالأديان المقارنة، يرى هذا الباحث أن مجيء الإسلام بعد المسيحية بقرون ليس دليلاً على تفوقه⁽¹⁾، والإسلام واليهودية يمثلان الأشكال الأقل تطوراً من أشكال التوحيد وهو في هذه النقطة يتفق مع جيمس فريمان، وأنه ليس ديناً عالمياً ولا تبشيراً، وأن هدف المسلمين من الفتوحات الإسلامية ليس نشر الإسلام وإنما توسيع سلطتهم السياسية، وكأنه جعل الإسلام بذلك ديناً سياسياً بالدرجة الأولى، أو هو سوء فهم متعمد لحرية الدين في دولة الإسلام، ولو كان الإسلام يفرض على الناس اعتناقه لكان اعتراضه عليه معاكساً، وبالتالي فإن هذا الباحث بقي وفياً للنظرة السلبية القديمة.

6. جورج أرون بارتون [1859-1942م]: الكاتب الكندي وأستاذ اللغات السامية وتاريخ الأديان، تناول دراسة الإسلام في المبحث السادس من كتابه "أديان العالم"⁽²⁾ فسرّد حياة النبي (ﷺ) وظهر من أسلوبه أنه أخذ معلوماته عن المستشرقين، وفعلاً من خلال الاطلاع على مراجعه تبين أنه أخذ عن موير وزويمر وماكدونالد ونيكولسون بالدرجة الأولى، غير أن عرضه لم يظهر عليه التحامل بل مجرد نقل عمن سبقوه، وسرد قصة الإسلام من ميلاد النبي (ﷺ) إلى غاية حكم الأتراك للعالم الإسلامي وتحدث عن المذاهب الفقهية والفرق الإسلامية والفلسفة الإسلامية (الغزالي وتأثيره على الفلسفة الإسلامية وقال عنه أنه كالقديس أوغسطين عند المسلمين، ص112) وحتى عن التصوف لكن كان عرضه موجزاً خلال أحد عشر صفحة (105-116).

7. سيدني كايف [1883-1953م]: مُنصِّرٌّ وعالمٌ لاهوت قدم دراسة حول تاريخ الأديان الحية⁽³⁾ ومن بينها الإسلام، واعتمد في دراسته على ما جاء في كتابات مارجوليوت بالدرجة الأولى، غير أنه أبدى رأيه بشكل إيجابي فعلق بأن محمداً (ﷺ) وإن لم يكن نبياً حقيقياً فهو مؤسس لدين من أعظم الأديان في التاريخ وما أنجزه من توحيد القبائل العربية المتناحرة يضعه على رأس عظماء التاريخ كنبليون والاسكندر، وأكد أن الشبهات أو المآخذ عليه لا بد

(1) See: Frank Byron Jevons: An introduction to the study of comparative religion, p259.

(2) See: George Aaron Barton: The religions of the world, p(97-116) .

(3) See: Sidney Cave: An introduction to the study of some living religions of the east, p214.

من دراستها ضمن سياقها التاريخي والنصي والواقعي لفهمها بشكل أفضل ومعرفة صحتها من خطئها، فكان حديثه عن الإسلام أقل إجحافاً.

8. هاميلتون ألكسندر روسكين جيب [1895-1971م]: الباحث الاسكتلندي في التاريخ، ومن أواخر المستشرقين، امتاز بنظرته الإيجابية للإسلام، تحدث في كتابه "المحمدية" عن سرعة الفتوحات وانتشار الإسلام؛ وأكد أن توسع الدولة الإسلامية الصاعدة لم يترك كثيراً من الدمار، وأن الرعايا الجدد غالباً ما تنفسوا الصعداء من ظلم حكامهم، ونعموا بالحرية في ظل الحكم الإسلامي ولم يتم إجبارهم على اعتناق الإسلام ولا اضطهادهم، وأن الإسلام إنما برز في العالم المتحضر كقوة أخلاقية تستحق الاحترام وعقيدة متماسكة يمكنها أن تتحدى المسيحية في روما الشرقية والزرادشتية في بلاد فارس، فكان عرضه للإسلام خلال كتابه حيادياً وخالي تقريباً من الشبهات⁽¹⁾.

يتبين من عرضنا لهذه الدراسات كيف كانت النظرة الغربية إلى الإسلام والمسلمين قبيل نشأة علم مقارنة الأديان وبعد نشأته، فقد كانت سلبية عند كل من جيمس فريمان وجيمس فورلونج، ثم مع مطلع القرن العشرين كانت إيجابية عند كارنتر، ثم سلبية عند جيفونس؛ والملاحظ أن النظرة السلبية بدأت تتأرجح نحو الاعتدال عند جورج بارتون وسيدني كايف، وبدءاً من جيب وما بعده أصبحت النظرة إيجابية غالباً، يقول بيتر كلارك واصفاً هذا التغير الذي بدأ مع مطلع النصف الثاني للقرن العشرين قال: "شهدت النظرة الغربية للإسلام واستجابتها له تغيرات كبيرة خلال هذا القرن وخلال الأعوام الخمسة والعشرين الماضية على وجه الخصوص"⁽²⁾ وقصد هنا أنها تغيرت منذ صدور وثيقة "Nostra Aetate" عن المجمع الفاتيكاني الثاني سنة (1951-1963م) والتي كان موضوعها حول الديانات عدا المسيحية، والذي تم تفسيره على أنه وجهة نظر إيجابية وإن كانت حذرة حسب رأيه، تنص هذه الوثيقة على ميل الكنيسة الكاثوليكية إلى تبني موقف أكثر انفتاحاً وتسامحاً تجاه الديانات الأخرى ومنها الإسلام، وتنص على وجوب احترام الآخر وإنشاء قنوات للحوار معه من أجل حياة أفضل لأتباع الأديان جميعاً.

(1) See: Hamilton Alexander Rosskeen Gibb : Moammedanism, p3.

(2) Peter Clarcke : The world's religions : Islam , p205.

ومن الباحثين في علم مقارنة الأديان أيضا نجد كارين أرمسترونج التي تعتبر من المدافعين عن الإسلام ومن الدارسين المعارضين للنظرة السلبية نحو الإسلام وقد كتبت عن تطورها وخطئها بأدلة وأمثلة واقعية، فخصص مبحثا من كتابها عن النبي محمد (ﷺ) للحديث عن كراهية الغرب لنبي الإسلام (ﷺ)، فسردت جذورها منذ أول لقاء للمسلمين مع الغرب المسيحي حتى فترة كتابتها لكتابها، وفي كل مرة تؤكد على أن الأفكار السلبية قد تجذرت في العقل الغربي بالرغم من محاولات العقلاء منهم لتلطيف هذه النظرة أو تصحيح الأفكار المغلوطة المنتشرة إلا أنهم عجزوا عن ذلك، وقد استمر الأمر حتى خلال القرن العشرين بالرغم من انسياق المسلمين المتحررين من الاستعمار نحو الحضارة الغربية ومحاولتهم للحاق بركمها، إلا أنها في كل مرة تظهر لهم ازديادها لهم ولدينهم ولنبينهم بشكل أو بآخر، فأثار الوهم القديم ما تزال قائمة بالرغم من الدراسات العلمية والموضوعية الكثيرة عن الإسلام ونبي الإسلام التي تثبت خطأ هذه النظرة، ومحاولة الكثير من العلماء خلال هذا القرن توسيع فهم الغرب للإسلام.

وقد وصفت كارين أرمسترونج العلاقة بين المسيحية والإسلام خلال القرن التاسع عشر بعدما انتشر في مساحات شاسعة من العالم بأنها بدأت تدخل في مرحلة من الحرب الباردة ضد الإسلام لتحل محل الحرب الباردة ضد الاتحاد السوفييتي⁽¹⁾، ولعلها هنا تشير إلى قرارات المجمع الفاتيكاني الثاني، ومسألة الحوار مع الأديان، التي وصفها عبد الكريم العلوي أيضا بأنها أسلوب من أساليب التنصير الجديدة التي قرر البابا اعتمادها خلال القرن العشرين والحادي والعشرين، والتي سميت في قرارات المجمع باقتلاع الديانات الأخرى وبخاصة الإسلام؛ والمقصود بذلك العمل على هدم ثوابت الأديان لاقتلاعها من جذورها من قلوب المؤمنين بها⁽²⁾، مضت مائة سنة من دراسة الغربيين للإسلام والمسلمين وظلت آثار نظرة القرون الوسطى في العقل الغربي، فهل ستزول خلال القرن الحادي والعشرين؟ هذا ما سنعرفه خلال المبحث الموالي.

(1) انظر: كارين أرمسترونج: سيرة النبي محمد (ﷺ)، ص (15-69).

(2) بتصرف: عبد الكريم العلوي: المسلمون: لماذا يكرهوننا؟.. ولماذا نكرهم؟، كتاب رقمي.

3.4. تطور النظرة الغربية في ظل الدراسات الدينية المقارنة خلال القرن الحادي والعشرين إلى يومنا هذا (2000-2025):

انقضى القرن العشرين وقد اتجه أغلب الباحثين في علم مقارنة الأديان نحو العمل على محاربة النظرة السلبية التي خلفها الاستشراق والتنصير، وتأسس عدد من مراكز البحث حول الإسلام هدفها دراسة الإسلام بشكل موضوعي من الداخل كما يدرسه أصحابه، ومن الخارج كما يراه الآخرون، فنجد من الكتاب الموضوعيين هيو جودارد⁽¹⁾ الذي حاول من خلال أبحاثه أن يدرس تطور النظرة الغربية نحو الإسلام وسعى لخلق جو من التفاهم وحسن الظن بالآخر، فكتب عن تاريخ العلاقة بين الإسلام والمسيحية وجهود الباحثين الغربيين في دراسة وفهم الإسلام، وخلال العصر الحديث يرى أن النظرة تراوحت بين ثلاث اتجاهات: حصرية وشمولية وتعددية، وذكر من الباحثين الشموليين المؤثرين لويس ماسينيون⁽²⁾ الذي امتاز بنظرته الإيجابية والمدافعة أحيانا عن الإسلام، ويعتبره جودارد أبرز المساهمين في نتائج المجمع الفاتيكاني الثاني، وإن كان قد توفي قبله بكثير لعلاقته المقربة من البابا الذي كان من المتأثرين بفكره⁽³⁾، لكني أعتقد أنه ما دام ضمن قائمة المستشرقين ومن الموالين للاستعمار الفرنسي بل وخدم فيه فترة من الزمن فلا أمان له وإن كان قد لعب دورا في نتائج المجمع الفاتيكاني فعلا، فإن دوره لا يعدو عن ابتكار أسلوب جديد في التعامل مع المسلمين فقط لا غير.

ومن الدراسات الموضوعية والحيادية كتاب "ثلاثة عقائد، إله واحد" الذي أكد فيه الباحثون الثلاثة على أن عرضهم لفكرة الله في الأديان السماوية الثلاث اليهودية والمسيحية والإسلام؛ ليس كفلسفات متنافسة بل كثلاثة تقاليد دينية مستقلة لكل منها طريقها

⁽¹⁾ أستاذ فخري بمركز الوليد بن طلال لدراسة الإسلام في العالم المعاصر، وهو أحد تلاميذ ألبرت حوراني، درس بجامعة أكسفورد التاريخ الإسلامي، له عدد من المؤلفات منها: "المسيحيون والمسلمون: من المعايير المزدوجة إلى التفاهم المتبادل"، وتاريخ العلاقات المسيحية الإسلامية. موقع جامعة إيدنبورغ: <https://edwebprofiles.ed.ac.uk/profile/hugh-goddard>

⁽²⁾ ولد لويس ماسينيون في 25 يوليو 1883م بباريس، تخرج من "المدرسة الوطنية الشرقية الحية"، التي تخرج منها أغلب المستشرقين الفرنسيين والأجانب، متخصص في الفلسفة والصوفية والمذاهب والفرق والآثار الإسلامية، توفي في 31 أكتوبر 1961م من مؤلفاته: "بحث في نشأة المصطلح الفني في التصوف الإسلامي" نشر سنة 1955، و"ديوان الحلاج" وغيرها كثير. عبد الرحمان بدوي: موسوعة المستشرقين، مرجع سابق، ص(529-535).

⁽³⁾ Adapted from: Hugh Guddard : A history of Christian-Muslim relations, p155.

الخاصة في سرد قصتها الفريدة⁽¹⁾، فعكس منهج الباحثين في هذه المجالات نظرة حيادية تجاه الإسلام.

فيما يرى جاك واردنبورغ⁽²⁾ أن المسلمين لم يعودوا شعبا بعيدا وبالتالي أصبحت أساليب حياتهم معروفة على نحو أفضل، ولم يعودوا سكانا أو متمردين محتملين في المستعمرات التي تحكمها الدول الأوروبية، بل لقد نالوا الحرية ولم يعد من الممكن النظر إلى الإسلام ذاته باعتباره ديناً سلبياً أو عدوانياً وعنيفاً؛ ومثله كمثل الأديان الأخرى يخضع للظروف السياسية، ولم يعد من الممكن تحديد المسلمين باعتبارهم مؤمنين متزمين أو متعصبين ومقاتلين، ويؤكد على أن المواقف الغربية السلبية تجاه الإسلام استمرت، وتزايدت أيضاً ردود الفعل السلبية من قبل المسلمين بعد حرب الخليج وطموحات الهيمنة الغربية⁽³⁾، وهو بذلك يعيد سبب التوتر في العلاقات إلى العالم الغربي وليس للإسلام.

وسردت موسوعة الإسلام تاريخ النظرة السلبية للإسلام واتهامه بالزيف والوثنية، ويذكر المؤلف بأسف أنه لا يزال من الممكن مواجهة مثل هذه الآراء المتحيزة في الأوساط المسيحية، وقد نظر علماء العصر المتخصصون في مقارنة الأديان وتاريخها إلى الإسلام من وجهات نظر مختلفة فيصورونه تارة على أنه دين ملوث بالاستبداد السياسي واللاعقلانية، وأخرى يصورونه على أنه دين متميز يختلف عن اليهودية والمسيحية، وتارة ثالثة يرون أنه دين سامي عنصري، وفي نهاية المطاف خلصوا إلى تصنيف الإسلام كدين توحيدي لإيمانه بإله واحد وغربي إبراهيمي لعلاقته التاريخية باليهودية والمسيحية، ودين عالي لانتشاره على نطاق واسع، ثم جاء في الموسوعة عرض لبعض الشبهات التي أثيرت حوله مع الرد عليها⁽⁴⁾، وبالتالي فقد حددت الموسوعة أن النظرة الغربية نحو الإسلام كانت سلبية بشكل كبير حتى

(1) See: Jacob Neusner- Bruce Chilton- William Graham: Three faiths one god(the formative faith and practice of Judaism, Christianity, and Islam), preface.

(2) أستاذ في مقارنة الأديان بجامعة لوزان، ولد عام 1930م بهولندا، وتوفي عام 2015م في أوترخت بهولندا، درس الدراسات الدينية (تخصص الإسلام) في جامعة أمستردام من مؤلفاته: Reflections on the West (2004); Islam: wissenschaftskolleg zu Berlin. historical, social and political perspectives

<https://www.wiko-berlin.de/en/fellows/academic-year/2003/waardenburg-jacques>

(3) Adapted from: Jacques Waardenburg : Muslims as actors, p122, p127.

(4) Adapted from: Juan E.Campo: Encyclopedia of Islam, p xxiv, xxix, xxxil.

تحرر علماء الغرب من علم اللاهوت وتوجههم لدراسة الدين من منظور العلوم الإنسانية والاجتماعية، حيث أصبحت بعدها أكثر إيجابية وقبولا.

ثم يأتي الباحث آدم سلفرستين المؤرخ للشرقين الأدنى والأوسط والحضارة الإسلامية، ليسلط الضوء على الآثار السلبية لتوتر العلاقات بين المسلمين والغربيين على مر التاريخ، وأن استمراريتهما أدت إلى حالة من عدم الثقة بينهما وخاصة من جانب المسلمين نحو الغربيين وما نتج عنها من ذكريات سيئة أثنت المسلمين المعاصرين عن الاستثمار في الثقافة الغربية وضرب مثالا لذلك بأن كتابا صدر مؤخرا عن "أكثر مائة مسلم تأثيرا في التاريخ" لم يتضمن سوى مسلما غربيا واحدا هو "مالكولم إكس"، ونبه على نقطة مهمة وجوهرية يختلف فيها التاريخ الإسلامي عن تاريخ اليهودية وتاريخ المسيحية، وهي أن النبي (ﷺ) وأصحابه بالرغم من الاضطهاد الذي عانوا منه إلا أنهم واجهوا المشقة حتى توفي محمد (ﷺ) وهو على رأس أمته، وقد هزم كل أعدائه وأسس دولة الإسلام، وواصل أصحابه نشر رسالته بعده؛ بينما على النقيض من ذلك لم يصل موسى أبدا إلى الأرض المقدسة ومات يسوع على الصليب فكلاهما نشأتا وتطورتا في ظل حكم أجنبي⁽¹⁾، ولعل في هذه الفكرة إشارة أيضا إلى ما قد يطرأ على الدين من التغير في ظل الحكم الأجنبي خاصة في بداية نشأته وخضوعه للتغيير والتبديل والتحريف تبعا لهوى الحاكم.

كما فند شبهة انتشار الإسلام بحد السيف وأن الإسلام دين منغلق وليس تبشيريا، وأن هدفه سياسي بحت بتأكيدده على أن الإسلام إنما انتشر وتوسع بشكل كبير في زمن ضعف الدول الإسلامية وخاصة خلال فترة الحكم الاستعماري الأوروبي وفي فترة ما بعد الاستعمار زاد التوزيع الجغرافي للمسلمين بشكل كبير بسبب الهجرة، وإقامة المسلمين في البلدان الغربية ونشاطهم في الدعوة زاد من انتشاره وبالتالي فحتى بدون خلافة (حكم سياسي إسلامي) فإن ثلث البشرية اليوم مسلمين⁽²⁾، وفي هذه النقطة بالذات يمكن أن نضيف أيضا أننا خلال بحثنا في المصادر الغربية وكتابات المنصرين ومجلاتهم التي كانوا يصدرونها لينقلوا فيها تقارير إنجازاتهم، كانوا يؤكدون أن الهنود المعتنقين للإسلام هم

⁽¹⁾ Adapted from: Adam Silverstein : Islamic history (A very short introduction), p47.

⁽²⁾ Adapted from: Adam Silverstein : Islamic history (A very short introduction), p135.

الأصعب على الإطلاق في استجابتهم للتنصير، بل أغلب المنصرين الموجهين إليهم باءت محاولاتهم بالفشل غالبا لقوة العقيدة الإسلامية في نفوسهم.

وقال الباحث ألكسندر نيش المتخصص في الدراسات الإسلامية؛ بعد سرده للصورة السلبية التي توارثتها الأجيال في الغرب عن الإسلام والمسلمين، وأنهم تأثروا بهم في مجال العلوم والمعرفة والفلسفة والطب وحتى في اللغة؛ لكن حين يتعلق الأمر بالدين فإن ردة الفعل تكون سيئة.

وقال إن النظرة السلبية تراجعت نسبيا مع تراجع نفوذ المسلمين السياسي، لكن ظل تأثير الصورة النمطية القديمة قائما ولم يسلم منه حتى أكثر المثقفين الأوروبيين تحررا، وإلى يومنا هذا مازال ذلك التأثير قائما، ولعل من الأحداث التي أثبتت ذلك أو فضحته هي حادثة الرسوم الدانماركية المسيئة للرسول (ﷺ) سنة 2005م، ويعود السبب لظهوره في رأيه إلى عودة الخوف القديم من الإسلام وهو الآن أشد؛ لأنه قديما كان الخوف من شيء مجهول وبعيد نسجت حوله الأساطير والخرافات، لكن الآن هو خوف من شيء يعيش معهم في وطن واحد بل وفي حي واحد، فقد تزايد عدد المسلمين المهاجرين إلى الدول الغربية بشكل كبير بعد انتهاء فترة الاستعمار، فضلا عن دخول الأوروبيين فيه، فزاد التهديد المحتمل بسبب هذا "الاحتلال السلمي" والسبب ليس في الأفراد ولكن في ديانتهم وفي إصرارهم على الحفاظ على دينهم وثقافتهم بدلا من الاندماج في المجتمع الأوروبي، ومطالبتهم لهم باحترام دينهم وثقافتهم⁽¹⁾، وبالتالي فهذا الباحث يقول بأن النظرة السلبية للإسلام والمسلمين عادت كما كانت قبل قرنين من الزمن لأسباب مختلفة وفي وضع مختلف لعله أسوأ من سابقه بكثير، والمتضرر الأكبر منه هم المسلمون في غالب الأحيان.

ننتقل الآن إلى باحث آخر هو جون رينارد وهو باحث معاصر في الدراسات الإسلامية، الذي بيّن أنّ سبب اهتمامه بدراسة الإسلام نابع من القلق الذي يثيره هذا الدين في الوعي الغربي، وارتباطه بأحداث سياسية "كحرب ستة أيام 1967م" والصراع الإسرائيلي الفلسطيني الذي جعل ذكر الإسلام والمسلمين مصدرا لسوء فهم محتمل وحقد، وحاول

⁽¹⁾ Adapted from: Alexander Knysh : Islam in historical perspective, p433, p435.

تصوير حل لهذه المشكلة وهو أنه: "في الواقع هناك مفتاحان أحدهما نادرا ما يقدم، والآخر غالبا ما يتجاهل، الأول: هو الحاجة إلى معلومات موثوقة عن الإسلام والمسلمين، والثاني: يتعلق بالنظر البسيط في الإنسانية المشتركة التي تجمع المسلمين وغير المسلمين بشكل أعمق بكثير مما تفصلهم الاختلافات الدينية والثقافية"⁽¹⁾، ولكي يفند دعوى أن الإسلام دين عنف، ختم كتابه بتقديم عرض بسيط لآيات من القرآن الكريم وإصحاحات من الكتاب المقدس دون بيان مصدرها تحت عنوان "اختبار نصوص دينية عن العنف"، وقال: "النصوص الدينية إذا لم تقرأ ضمن السياقات النصية والتاريخية الصحيحة؛ يسهل تحريفها والتلاعب بها"⁽²⁾، ليعطي نظرة أن العنف لا يختص بالإسلام والقرآن بل هو موجود في الأديان كلها.

4.4. العوامل المؤثرة في نظرة الغرب إلى الإسلام والمسلمين:

تضافرت عوامل عديدة جعلت نظرة الغرب للإسلام تتراوح بين الإيجاب والسلب منها:

أولاً: العوامل السياسية والعسكرية

أسهمت العوامل السياسية غالبا في شحن الرأي العام الغربي ضد الإسلام والمسلمين بسبب الخوف من توسع الدول الإسلامية عبر مختلف مراحل التاريخ، وخلال القرن التاسع عشر كما لا حظنا سابقا أن الوضع تغير قليلا وخفت السلبية وخاصة بعد الحرب العالمية الأولى (1914-1918م) ووصول العالم الإسلامي إلى أدنى مراحل الضعف ممثلا في الدولة العثمانية التي سقطت سنة 1924م بعد أن أنهكتها الحرب العالمية الأولى، فأغلب العالم الإسلامي الآن واقع تحت سلطة الاستعمار المدعوم من المستشرقين؛ ومحاولات التنصير عن طريق التجويع والتجهيل ونشر البدع، فقد أصبح المسلمون هنا بلا حكم إسلامي ولا قوة عسكرية لهم حتى يخشى الغرب منهم، وهذا ما طمح إليه إرنست رينان، وقد أشرنا إلى كلامه سابقا، لكن هذه الوضع لم يدم طويلا؛ فبعد حصول أغلب الدول الإسلامية أو ذات الأغلبية المسلمة على استقلالها بعد الحرب العالمية الثانية (1939-1945م) إثر ثورات تحررية ضد الاستعمار، أكد العالم الإسلامي للغرب الصليبي أن لا شيء

(1) John Renard : The handy Islam answer book, p(x- xi).

(2) John Renard : The handy Islam answer book, p389.

يجعله يتحول نصرانيا بعد أن أسلم وجهه لله حنيفا مسلما، وباءت جهود المنصرين والمستشرقين بالفشل، لكنهم لم يستسلموا بل بدأوا في اتباع طرق جديدة أكثر خبثا ومكرا وهو ما أسمته كارين أرمسترونج بالحرب الباردة على الإسلام والمسلمين، فبدأت النظرة السلبية تعود إلى الواجهة، وخاصة بعد أن حاولت الدول المتحررة حديثا مواجهة موجة العلمنة والحدثة التي بدأ الغرب يفرضها عليها بدعوى مواكبة الحضارة وقد ازدادت النظرة سوءا بعد الثورة الإيرانية سنة (1978م- 1979م) وأزمة الرهائن الأمريكيين سنة 1980م والحروب التي وقعت بعد هذا في منطقة الشرق الأوسط، والتي رصدها الإعلام الغربي بأسلوب شائه غرضه نشر الرعب من الدين الإسلامي ومن معتنقيه، وليس مقامنا هنا مقام سرد النظرة الغربية من وجهة سياسية، فقد ألفت فيها الكتب ونشرت حولها كثير من المقالات، وما نريد بيانه هنا من خلال ما عرضناه أنه بالرغم من الجهود التي بذلها الباحثون في مجال مقارنة الأديان خلال هذه الفترة لبيان أن الإسلام دين كغيره من الأديان إلا أن القوة السياسية المسيطرة قد جندت الإعلام لإتمام ما بدأه الاستشراق من تشويه وتضليل للرأي العام الغربي.

ثانيا: العوامل الاقتصادية

لقد تركت الدول الغربية الاستعمارية مستعمراتها مدمرة اقتصاديا، وحطمت كل عوامل النهضة، وأهمها التعليم الذي منعه عن الأغلبية الساحقة من الشعوب، ونهبت خيرات هذه البلدان وجعلتها تحت سيطرتها حتى بعد خروجها منها، وركزت على تدمير الدين في نفوس الناس بشكل أساسي لأنه يعتبر العامل الأساسي لنهضة الشعوب الإسلامية كما قال ويلفريد كانتويل الباحث الكندي في مقارنة الأديان والمتخصص في دراسة الإسلام: "إن الشريحة المسلمة من المجتمع الإسلامي لا تزدهر إلا إذا كان الإسلام قويا وحيويا، ونقيا وخلاقا وسليما"⁽¹⁾، ولهذا حاربوه ليمنعوا نهضة هذه الشعوب ولتظل تابعة لهم اقتصاديا وتظل أسواقا مفتوحة للدول الغربية، وحالنا اليوم يدل على أنهم نجحوا في جانب، وفشلوا في جوانب أخرى، وفي كل مرة يكيدون كيذا يعود على الإسلام بالنفع أكثر من الضرر، ولا يغرمهم ضعف المسلمين اليوم، فإن الله عز وجل يبعث من الرفات خلقا آخر.

(1) Wilfred Cantwel Smith: Islam in modern history, p5.

ملخص ما سبق أن التحول العميق الذي طرأ على المناهج العلمية في التعامل مع أديان البشر، بعد اهتمام الغربيين بدراسة اللغات الشرقية وثقافتها وتأسيس كراسي علمية لتدريسها أدى إلى ظهور علم هدفه البحث عن الحقيقة، ومن مقوماته الموضوعية وتجنب إلقاء الأحكام القيمية في دراسة الأديان، لكنه واجه صعوبات في الاعتراف به، كما اهتم الباحثون في مقارنة الأديان بدراسة الإسلام، وانقسموا في نظرتهم نحوه إلى قسمين: فقسم منهم حافظ على نظرة القرون الوسطى، وقسم آخر امتاز بالسعي نحو نظرة موضوعية معتدلة كما يتصورها.

وقد تطورت النظرة الغربية للإسلام خلال القرن العشرين من خلال الدراسات الدينية المقارنة من سلبية إلى ساعية إلى الاعتدال والإيجابية، وقرارات المجمع الفاتيكاني الثاني التي بدت للبعض إيجابية، هي في حقيقة الأمر مجرد أسلوب جديد لمواجهة المد القوي للإسلام، ومحاولة لإذابته في الأديان الأخرى، أو تدجين أتباعه للتنازل عن حقيقة أنه الدين الخاتم وأنه رسالة السماء إلى الأرض، وأنه دين التوحيد الخالص الذي لا يرقى إليه أي دين آخر.

الخاتمة:

خلاصة ما مر معنا خلال هذه الدراسة هو أن علم مقارنة الأديان كان له دور في نشر الوعي بقبول عقيدة الآخر ودراستها، وأثر بشكل ملحوظ في تغيير نظرة الغرب السلبية تجاه

الإسلام واتجاه نبيه ومعتنقيه بشكل خاص، لكن هذا التغيير ظل محدودا أمام المد الجارف للفكر المادي وسيطرته على العقول.

وقد توصلت في ختام هذه الدراسة إلى النتائج الآتية:

1. الإسلام يعتبر من أكثر الأديان رفضا من قبل الغرب منذ ظهوره وحتى يومنا هذا.
 2. ظهور علم مقارنة الأديان واعتراف أغلب الباحثين في مجال الدراسات الإسلامية وهو فرع من فروعها، أن الإسلام تم العمل على تشويه صورته عمدا من طرف المستشرقين والمنصرين.
 3. اهتمام الباحثين في مقارنة الأديان بدراسة الإسلام بعيدا عن منهج الاستشراق، أدى نسبيا إلى تحسين الصورة السلبية له في العقل الغربي.
 4. خلال القرن العشرين ظهرت بوادر تحسن في صورة الإسلام بفضل سعي الباحثين لذلك، لكنها ظلت في تدافع مع الصورة النمطية الراسخة في العقل الغربي.
 5. ظلت النظرة الإيجابية إلى الإسلام والمسلمين حبيسة الدراسات الدينية والكتب، بينما النظرة السلبية تم الترويج لها ودعمها إعلاميا خاصة في وقتنا الحاضر، فقد أصبح المتحكم فيها هو الإعلام والسياسة والمصالح الاقتصادية.
- أهم ما أود الإشارة إليه وأنا أنهي هذه الدراسة هو إهمال جانب مهم من جوانب دراسة علم مقارنة الأديان، وهو ترجمة الدراسات الغربية في المجال إلى اللغة العربية لتسهيل البحث على العاملين فيه، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى تقصير الباحثين أيضا في السعي لتحصيل اللغات التي تسهل عليهم البحث فيه وخاصة اللغة الإنجليزية التي لا تُنشر دراسة بأي لغة من لغات العالم إلا وتمت ترجمتها إليها، وخاصة الدراسات الغربية منها، والتمكن من هذه اللغة يفتح للباحث آفاقا لم تكن لتفتح له باكتفائه بلغته الأم.
- لذا أوصي زملائي وزميلاتي بالسعي الحثيث نحو تعلم لغة الآخر والاطلاع الواسع على أبحاثه، فنحن نقف على ثغر من ثغور الإسلام سنحاسب عليه يوم القيامة، فلنعد للسؤال جوابا.

قائمة المصادر والمراجع:

أولا: المراجع باللغة العربية:

1. إبراهيم بن محمد بن حسين العلي الشبلي الجنيني (المتوفى: 1425هـ): صحيح السيرة النبوية، تقديم: عمر سليمان الأشقر، مر: همام سعيد، ط1، (الأردن: دار النفائس، [1415 هـ - 1995 م]).
2. أندريه لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية، ط2، (بيروت: منشورات عويدات، [2001])، مج1 (A-G).
3. جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور أبي الفضل الإفريقي المصري: لسان العرب، ط1، (بيروت: دار صادر، ت1)، ج5.
4. جون إسبوزيتو: التهديد الإسلامي خرافة أم حقيقة؟، تر: قاسم عبده قاسم، ط2، (القاهرة: دار الشروق، [1422هـ - 2002]).
5. الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم أبو عبد الرحمن الفراهيدي البصري (المتوفى: 170هـ): كتاب العين، تح: د مهدي المخزومي - د إبراهيم السامرائي، ط1، (دار ومكتبة الهلال، ت1)، ج7.
6. رينهارت بيتر آن دوزي (المتوفى: 1300هـ): تكملة المعاجم العربية، تر: (ج1 - 8: محمد سليم النعيمي - ج9، 10: جمال الخياط)، ط1، (وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، [1979 - 2000 م])، ج7.
7. زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: 1031هـ): التوقيف على مهمات التعاريف، ط1، (القاهرة: عالم الكتب، [1410هـ - 1990 م]).
8. عبد الرحمان بدوي: موسوعة المستشرقين، ط3، (بيروت: دار العلم للملايين، [تموز/ يوليو 199]).
9. عبد الكريم العلوي: المسلمون: لماذا يكرهوننا؟.. ولماذا نكرهم؟، مكتبة جزيرة الورد، 2010م، كتاب رقمي.
10. عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين (تراجم مصنفى الكتب العربية) ط1، (دار الرسالة، ت1)، ج2.
11. كارين أرمسترونج: سيرة النبي محمد (ﷺ)، تر: فاطمة نصر - محمد عناني، ط2، (سطور، [1998 م]).
12. محمد بن الحسن أبو بكر بن دريد الأزدى (المتوفى: 321هـ): جمهرة اللغة، تح: رمزي منير بعلبكي، ط1، (بيروت: دار العلم للملايين، [1987 م])، ج2.
13. محمد بن الليث أبي الربيع: رسالة أبي الربيع محمد بن الليث من هارون الرشيد إلى قسطنطين ملك الروم، تح: خالد محمد عبده، ط1، (الجيزة: مكتبة النافذة، [2006 م]).
14. محمد حسن زمامي: الإستشراق والدراسات الإسلامية لدى الغربيين، تر: محمد نور الدين عبد المنعم، ط1، (القاهرة: المركز القومي للترجمة، 2010م).
15. محمد دين ميرا: في الدين المقارن مقالات في المنهج، ط1، (القاهرة: دار البصائر، [1430 - 2009]).
16. محمد عبد الله شرقاوي: الإستشراق وتشكيل نظرة الغرب للإسلام، ط1، (مصر: دار البشير للثقافة والعلوم، [1437هـ - 2016 م]).
17. مراد وهبة: المعجم الفلسفي، ط5، (القاهرة: دار قباء الحديثة، [2007]).
18. نذير حمادو: الخلفية التاريخية للعلاقة بين الإسلام والغرب ودور المستشرقين في تشويه صورة الإسلام، مجلة الإحياء، ع8، [1425هـ - 2004 م].

ثانيا: المراجع باللغات الأجنبية:

19. Adam Silverstein: Islamic history (A very short introduction), 1st edition, New York, OXFORD UNIVERSITY PRESS, 2010.
20. Albert Hourani: Europe and the middle east, 1st edition, Berkeley and Los Angeles, University of California press, 1980.
21. Alexander Knysh: Islam in historical perspective, 1st edition, New York, ROUTLEDGE, 2011.
22. Alfred Wilhelm Martin: The world's great religions (and the religion of the future), FIRST FREE CHURCH OF SEATTLE, 1906.
23. Carl Olson: religious studies (the key concepts), London-New york, Routledge, 1st edition, 2011.
24. Clinton bennett: The bloomsbury companion to islamic studies, 1st edition, London, Bloomsbury academic, 2013.
25. David Samuel Margoliouth: The early developement of mohammedanism/ mohammed and the rise of islam, 2nd edition, New York, Charles scribner's sons, 1914.
26. Encyclopedia of islam: Juan E. Campo, NEW YORK, FACTS ON FILE, 2009.
27. Eric sharp: comparative religion a history, 2nd edition, 1986, London, duckworth.
28. Frank Byron Jevons: An introduction to the study of comparative religion, New York, THE MACMILLAN COMPANY, 1908.
- a. Frank Moore Colby- Talcott Williams : The new international encyclopedia, New York, Dodd, Mead and Co, 1930, vol 12.
29. George Aaron Barton: The religions of the world, Chicago-Illinois, The University of Chicago press, 2nd edition, 1919.
30. Guy G. stroumsa: A new science (the discovery of religion in the age of reason), Harvard university press, London, 2010.
31. Hamilton Alexander Rosskeen Gibb: Moammedanism, London-Oxford-New york, Oxford university press, 2nd edition, 1970, p3, 1st editin, 1949.
32. Henri de Boulainvilliers: The life of Mahomet, London, W.Hinchliffe, 1731.
33. Historcal dictionary of Budhhism, 2nd edition, New York- London, ROWMAN and LITTLEFIELD, 2021.
34. Hugh Gudad: A history of Christian-Muslim relations, 1st edition, Edinburg University press, 2000.
35. Jacob Neusner- Bruce Chilton- William Graham: Three faiths one god(the formative faith and practice of Judaism, Christianity, and Islam), Boston- Leidon, Brill Academic publisher, 2002.
36. Jacques Waardenburg: Muslims as actors, Berlin, DE GRUYTER, 2007.
37. James Freeman Clarke: Ten great religions (a comparison of all religions), Boston, HOUGHTON MIFFLIN and COMPANY, 1883, part ii.

38. James Freeman Clarke: Ten great religions (an essay in comparative theology), Boston-New york, HOUGHTON MIFFLIN and COMPANY, 1888, part i.
39. James George Roche Forlong: Short studies in the science of comparative religion(All the religions of ASIA), London, BERNARD QUARITCH, 1897.
40. Jhon R.Hinnells: The routledge companion to the study of religion, 1st edition, London- New York, Routledge, 2005.
41. John Renard: The handy Islam answer book, Conton, VISIBLE INK PRESS, 2015.
42. Joseph Estlin Carpenter: Christianity among the religions of the world, LONDON, ELSOM AND CO.MARKET-PLACE, 1904.
43. Louis Henry Jordan: A survey of its recent literature, Edinburgh, Otto schulze & company, 1910.
44. Louis Henry Jordan: Comparative religion its genesis and growth, Edinburgh, Y&T CLARK, 1905.
45. Louis Henry Jordan: Its adjuncts and allies, New York Toronto, Humphrey Milford- Oxford university, 1915.
46. Major Arthur Glyn Leonard: Islam her moral and spiritual value(A rational and psychological study), London, LUZAC & CO, 1909.
47. Michael agnes: Webster's new world dictionary, New York-London-Toronto- New Delhi, PCKET BOOKS, 4TH edition, 1999.
48. Muir (sir) William: The rise and decline of Islam, Paternoster- Piccadilly, The religious tract society, 1900.
49. OED Oxford English dictionary, Mohammedan, 08/04/2025, 21:46. www.oed.com/dictionary/mohammedan.
50. Peter Clarcke: The world's religions : Islam, London, Taylor & Francis, 3rd edition, 2002.
51. Richard Simon: Histoire critique des dogmes des controverses, des coutumes et des cérémonies des chrétiens orientaux, ATRE VOUX, chez Louis Ganeau, 1711.
52. Saul Silas Fethi: Gods and Rligions, 1st edition, Union city, WRITERS REPUBLIC LLC, 2023.
53. Sidney Cave: An introduction to the study of some living religions of the east, London, DUCKWORTH & CO, 1st edition, 1921.
54. The encyclopedia britanica, New York, THE ENCYCLOPEDIA BRITANICA COMPANY ,11th edition, 1911-1912, Vol 17.
55. The new international encyclopedia, 2nd edition, New York, DODD MEAD and COMPANY, 1917, vol 12.
56. Thomas Patrick Hughes: Dictionary of islam,1st edition, London, W.H.ALLEN& CO, 1885.

57. Timothy filzgerald: The idiology of the religious studies, New York ,Oxford university press, 2000.
58. Wilfred Cantwel Smith: Islam in modern history, New jercey, Princeton university press, 1957.

ثالثا: المقالات

59. خالد بن علي مفلاس: إنتاج ما صنفه المسلمون في مجادلة أهل الكتاب من اليهود والنصارى عبر القرون الأربعة عشر، مجلة آفاق التراث والثقافة، ع70، 1 يوليو 2010.

رابعا: المواقع الإلكترونية

60. Academia: <https://huji.academia.edu/guystroumsa>
61. Academia: <https://newpaltz.academia.edu/ClintonBennett/CurriculumVitae>
62. Encyclopedia of Britanica: <https://www.britannica.com/biography/Max-Muller>
63. George tozn university: <https://gufaculty360.georgetown.edu/s/contact/00336000014RbJ4AAK/john-esposito>
64. Middle East Studies Association: <https://mesana.org/awards/category/albert-hourani-book-award/albert-hourani-biographical-sketch>
65. Persons of Indian Studies by Prof. Dr. Klaus Karttunen: <https://whowaswho-indology.info/21271/sharpe-eric-john>
66. The University of Edinburg: <https://edwebprofiles.ed.ac.uk/profile/hugh-goddard>
67. wissenschaftskolleg zu Berlin: <https://www.wiko-berlin.de/en/fellows/academic-year/2003/waardenburg-jacques>
68. المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية: <https://www.iicss.iq/?id=8>